الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ

العنوان :

رحلة علماء المغرب الأوسط مشرقا وتأثيرها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط

– العهد الموحدي–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الغرب الإسلامي العصر الوسيط

إعداد الطالبة: صحراوي ربيعة

إشراف الأستاذ: محمد حصباية

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة
د/ مرزقلال إبراهيم	أستاذ محاضر –ب–	رئيساً
أ/ محمد حصباية	أستاذ مساعد –أ–	مشرفاً ومقرراً
د/ ريغي مراد	أستاذ محاضر –أ–	مناقشاً

السنة الجامعية:2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله ابتداء وانتهاء

كلمة شكر وعرفان

قال الله تعالى: (ومن شكر فإنما شكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم"

وقال حبيبنا عليه السلام: لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

الحمد لله والشكر لله

أشكر الله عز وجل على توفيقه لي لإتمام هذا العمل، وعلى نعمة العلم التي رزقني إياها .

كما وجب علي أن أتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان، اعترافا بجميلهم وأخص منهم بالذكر

الأستاذ المشرف محمد حصباية حفظه الله

ووقفه لما يحب ويرضى وذلك على صبره ودعمه وتشجيعه لي طوال مشوار هذا البحث، كما أشكر

الدكتور لخضر بولطيف الذي مكنني من الحصول على الكتب ونرودني بها، فقد كان لي نعم

العون دون ملل كما لا يفوتنا في هذا المقام إن أتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة في قسم

التاريخ .

ولا ننسى أن نشكر أصحاب مكتبة "بيروت" الذين بذلوا مجهودا من أجل أن يكتمل هذا العمل .

الإهداء

أهدي تخرجي إلى من كلّله الله بالوقار وإلى من أحمل إسمه بكل افتخار والدي العزيز "الحاج"

إلى بسمة الحياة وسر الوجود وإلى معنى الحب والحنان أمي الحبيبة

"نعناعة"

إلى إخوتي الذين هم كل ما أملك في حياتي "خاصة إلى خير الدين..الذي وقف معي طوال فترة دراستي الجامعية"

كما لا أنسى كل من : "فاتح..عادل..حسان..عزيز"

إلى أختي التي كانت سندي ورفيقة دربي..والتي وقفت بجانبي طيلة فترة إنجاز عملي هذا أختي العزيزة والوحيدة"عبلة"وإلى زوجها "توفيق"وإلى أبنائهم " رهف..اشرف"

وإلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي..إلى من تحلّو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء

إلى ينابيع الصدق الصافي ..إلى من معهم سعدت برفقتهم في دروب الحياة.

إلى من عرفت كيف اجدهم وعلموني أن لا أضيعهم

" عائشة فرحاتي..المقدودة..سهام..خليصة..فريدة..أحلام..سهام"

إلى من علموني حرفا فصرت لهم عبداً اساتذتي الكرام

أهدي إليكم جميعا عملي المتواضع.

صحراوي ربيعة

مقدمة

إن من سمات التطور الحضاري والتفوق العلمي هو وجود الرحلات العلمية التي تعتبر مشهدا مشرفا في الثقافة العربية الإسلامية، حيث ظل الناس يتبادلون الرحلات بين مراكز العلم في العالم الإسلامي لينهلوا من ينابيع المعرفة، إن دراسة الحياة العلمية والثقافية ببلاد المغرب الأوسط خلال فترة الموحدين تشد بالانتباه إلى انتقال عدد كبير من رجال العلم إلى المشرق وهي حركة لم تتوقف على المدى البعيد أو القصير، بل استمرت فاعليتها برغم من تغير الظروف السياسية والثقافية، وتأسيس حواضر إسلامية ببلاد المغرب الأوسط مما تطورت فيها مراكز التعليم (تلمسان، ورجلان، قلعة بني حماد، بجاية، أشير) فكان طلاب المغرب الأوسط يتركون بلدهم بعد أن يحصلوا، ما لدى علمائها فيتوجهون إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ويكابدون مشاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها، ومن هنا فقد بات المثقف المغربي لا يعد نفسه مثقفا مكتمل الثقافة إلا إذا قام برحلة إلى بلاد المشرق، ذلك لأن اكتمال تكوين" الشخصية العلمية" بالنسبة للمغاربة بقي رهين الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج التي تربط أهل المغرب بالبقاع المقدسة أولا، ثم للأخذ والاحتكاك بالعلماء والمشايخ هناك، وقد ظلّت هذه السيرة قائمة خلال عهد الموحدين، ذلك لأن الفترة الموحدية لم تكن معزولة عن سابقاتها، بل هي حلقة من الحلقات العصر الوسيط.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع الموسوم "الرحلة العلمية مشرقا ودورها في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الموحدي":

محاولة أردنا من خلالها تسليط الضوء على رحلة علماء المغرب إلى المشرق، حيث تعتبر مرحلة من أهم المراحل في حياة العالم المغربي، وأن دارساتها تكمن في التعرف على أسباب هذه الرحلة واتجاهاتها، ونتائجها وميدان تنقل الأفكار سواء بواسطة التدريس أو التأليف، أو الاحتكاك كما تساعدنا على تقييم مدى الاندماج الحاصل بين سكان المغرب والمشرق

الاسلامين، ومكنتنا من معرفة الأوضاع الثقافية والفعل المغربي فيه في بلاد المغرب، وكذلك بلاد المشرق أين فرض العلماء أنفسهم فيما أبدعوه في شتى أصناف العلوم.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان توجهنا لهذا البحث لعدة أسباب منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، فأما الأسباب الموضوعية فتتمثل فيما يلي:

- إن اقتراح هذا الموضوع كان من لدن الأستاذ المشرف "محمد حصباية" وقد كان هذا الاقتراح في محله، حيث اكتشفت أهميته مع كل مرحلة من مراحل البحث، ومع كثرت وتشعب التساؤلات التي أثارها.
- كذلك كون هذا الموضوع من مواضيع الساعة الذي يحتاج إلى البحث المتواصل.
- قلة الدراسات التي تخصصت في رحلة العلماء المغرب الأوسط إلى المشرق في القرن السادس الهجري والثاني عشر ميلادي ، قد جعلتني أهتم بتتبع هذه الرحلات في شقها الثقافي.

- أما الأسباب الذاتية فكانت محاولة تلبية رغبة كامنة في أنفسنا ويتمثل ذلك في:

- إظهار المكانة الحقيقية التي ارتقاها علماء المغرب الأوسط أمام نظراتهم في المشرق.
- رغبتي في بحث يجمع الأصالة المعاصرة، فنقدم ما ينفع لعصرنا نبين فيه ما قرأه وأنجزه أسلافنا، وكذلك الاستفادة من آثارهم العلمية فنجح بذلك بين حفظ آثار السلف.
- الاطلاع على سير بعض العلماء الذين قاموا برحلات العلمية وأبرزوا أسمائهم في التاريخ.
- إثراء المكتبة الجامعية بموضوعات حية ومرجع جديد.

- وعلى ضوء ما تقدم ارتأينا أن نلج هذا الموضوع من خلال إشكالية تتمحور حول التساؤل الرئيسي والذي يندرج ضمنه مجموعة من التساؤلات الفرعية.
- كيف أسهمت الرحلة العلمية مشرقا ومغربا في تنمية وتنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الموحدي؟
- ما هي الأسباب والدوافع التي ساعدت أهل المغرب الأوسط في الرحلة إلى المشرق.
- ما هي أهم محطات الرحلة العلمية لطلبة المغرب الأوسط؟
- ما هي العلوم التي شدت إليها الرحال إلى المشرق؟
- كيف أسهمت الرحلة العلمية في تنسيق الحياة العلمية والثقافية مشرقا ومغربا؟

منهج الدراسة:

لدراسة الموضوع ومعالجته، وبحكم طبيعته التاريخية فقد كان المنهج التاريخي هو المتتبع بآلياته، المختلفة، وضرورة الخوض في كتب الرحلات تطلب منا استخدام آلية الرصد والتتبع، خاصة لما ورد فيها من إفادات وأخبار حول الموضوع المدروس والذي يقتضي هذه الإلية للحصول على نسيج منسجم للمعلومات، مما استدعى هذا بدوره آلية التحليل لتفعيل الموضوع، كما وجدنا أنفسنا في بعض كتب الرحلة ولإثراء الموضوع نستدعي المقارنة كآلية لنرى نقاط اتفاقها واختلافها اختيار الأنسب للموضوع كما استخدمنا آلية الاستنتاج في هذا البحث وحتى خاتمته التي كانت عبارة عن استنتاجات لموضوع البحث.

خطة البحث:

في حدود المادة العلمية التي تحصلت عليها قسمنا بحثنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فتضمنت تحديد البحث مع الإطار الزماني والمكاني، ثم أهمية الموضوع وإشكالية ودوافع اختياره بإضافة إلى البنود العريضة للموضوع والصعوبات التي واجهتنا منتهين بتحليل مختصر لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث وتحتوي الخطة على ثلاثة فصول وكل فصل يتفرع إلى عناصر حسب الحاجة.

- الفصل التمهيدي: حيث تناولنا فيه بعض المصطلحات الدالة على دراستنا، حيث تحدثنا على معنى كلمة المغرب الأوسط، الرحلة، والعلم، التعليم، والثقافة.

- أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان، دوافع الرحلة العلمية، ذكرنا فيه الأسباب التي دفعتهم إلى الخروج من المغرب والتوجه نحو المشرق ثم المسالك التي اتبعوها والصعوبات التي واجهتهم في رحلتهم وتوزيعهم الجغرافي في المشرق يعني الحواضر المشرقية التي كانت أكثر استقطابا لهؤلاء المهاجرين.

- أما الفصل الثالث تناولنا فيه الحياة الفكرية والثقافية في المشرق وإسهامات لطلبة المغرب الأوسط فيها، وذلك بتتبع مراحل تكوينهم والكتب التي درسوها واختصاصاتهم العلمية ومظاهر التأثر والتأثير في المشرق ومنتوجهم الفكري، وأنهيت بحثي بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لما توصلت إليه في هذا الموضوع

-المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة

-المصادر

لقد استعنا في بحثنا هذا بمجموعة من المصادر والمراجع والتي ساعدت على بلورة الأفكار وتسهيل دراسته من خلال قراءتها ومحاولة الاستفادة مما جاء فيها، أما المصادر فقد كانت أغلبها مصادر مغربية وأندلسية بحثة دونت ما شاهدت تاريخيا وجغرافيا، حيث أن أغلبيتها رافقت هؤلاء العلماء والتي كانت شاهد على الظروف خلال الرحلة العلمية والصعوبات الطبيعية والبشرية التي اعترضنهم، مما دفع بالعديد من رحالة الغرب الإسلامي بتدوين أخبار أسفارهم وتنقلاتهم المدن التي قصدوها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلبوا عليها، ومن بين أهم هذه المصادر نذكر.

-كتب الجغرافيا والرحلات

معجم البلدان "لياقوت الحموي" وهو كتاب جغرافي ساعدنا على التعريف بالمدن والقرى ومختلف المناطق بالمغرب والمشرق.

- أما كتب الرحلات والتي من أهمها " الرحلة العبدرية" والتي دونها العبدري في أواخر القرن السابع الهجري، وقد ركز فيها على الجانب العلمي.
- ثم رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حيث قدم فيها الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية عن عدة مناطق ابتداء من نقطة الانطلاق حتى نقطة الوصول.
- أما الكتاب المتميز في هذا الميدان هي رحلة ابن جبير الأندلسي، الذي واكب الفترة التي نحن في صدد دراستها والتي تهمنا، حيث عرفنا بشكل دقيق عن المسلك البحري الذي كان يستعمله المغاربة والأندلسيين إلى المشرق، وأوضح فيه الصعوبات التي

تعترض الرحالة، ضف إلى ذلك انه زار كل من مصر والعراق وبلاد الشام، فأعطى لنا صورة واضحة عن الجالية المغربية بالمشرق خاصة أوضاعها العامة المعيشية والاجتماعية والثقافية والذي يزيد من أهمية هذه الرحلة، أن معلوماتها دونت بعد مشاهدة صاحبها لكل ما وصفه من قرب كل ما ذكره.

- **كتب التاريخ والحوليات**

وهي عبارة عن كتب بحث في تاريخ العام منذ بدء الخليفة وحتى عصر المؤلف، وقد سهلت علينا هذه الكتب انجاز هذا العمل، وذلك لأنها احتوت على سير كثير من المغاربة، الذين عاشوا في المشرق إضافة إلى بعض الأمور الهامة والمتعلقة بالإطار التاريخي والسياسي نذكر منها ما يلي:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وهناك من يسميه بتاريخ ابن خلدون وهو يعد مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ المغرب، عالجت في عديد من أجزائها، الأوضاع التي تتعلق بقبائل البربر، وأماكن استطانهم ببلاد المغرب وذكر تاريخهم منذ الفتح العربي، أما المقدمة فهي جاءت على شكل فاتحة لكتاب العبر، وتعتبر الجزء الأول، من هذا المؤلف، وقد أفادت في عدة جوانب من هذا البحث، خاصة في إلقاء الضوء على التعليم وعلى أنواع العلوم التي كانت سائدة آنذاك، مما جعلها مفتاحا للدراسة الثقافية التي يتمحور حولها البحث.

- كتاب المعجب التي أرخت في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المراكشي، وهو من بين أهم الكتب التي أرحت للمغرب، ويعتبر من المواكبين للفترة التي ندرسها، خاصة في معلوماته عن الموحدين كانت في بالغ الأهمية ما لا يمكن تجاوزها، باعتباره واحدا من الذين شاركوا وعاينوا عن قرب أحداث البلاط الموحدي، وهو ما يفيد هذا البحث بأنه يعتبر واحد من العلماء الذين هاجروا إلى المشرق بسبب خلاف سياسي.

-المراجع:

كما استعنا في دراسة وانجاز هذا الموضوع على بعض المراجع وكان من أهمها:

-عمار هلال: العلماء الجزائريين في البلدان العربية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الملايين، 13-14هـ.

-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، حيث استفدنا منهم في معرفة أهم علماء المغرب الأوسط وسيرتهم، وساعدنا في التعرف على العلماء الذين استقروا في المشرق ورحلاتهم العلمية.

-المراجع الأجنبية:

لم نعتمد على مصادر ومراجع أجنبية وذلك لقلة الوقت على اعتبار أن الترجمة تحتاج إلى وقت كبير.

-المعاجم والموسوعات:

كما استعنا في هذا الموضوع بالمعاجم والموسوعات نذكر منها:

- قنبس عبد الحليم: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية.
- التهاوني محمد علي: موسوعة كشاف المصطلحات والفنون والعلوم.
- وقد احتوت هذه المعاجم والموسوعات على تعريفات مهمة عن الرحلة والعلم وغيرها.

-الرسائل الجامعية:

- ويضاف إلى هذه المصادر والمراجع مجموعة من الرسائل الجامعية، استطعت من خلالها أن أدعم موضوعي بمختلف المعلومات الخاصة، من بين هذه الرسائل نذكر ما يلي:

- بغداد غربي: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه.

- نصيرة شينة: الشعر الصوفي المغربي أبو مدين الغوث وعفيف الدين التلمساني نموذجا، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه.

-الصعوبات:

قبل أن نختم يجب علينا أن نعترف أن ما جاء في انجاز هذه المذكرة ما هو إلا محاولة منا في إبراز رحلة علماء المغرب الأوسط مشرقا ومغربا ودورهم في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الأوسط، وقد اعترضننا عراقيل وصعوبات خلال فترة انجاز هذا البحث، ومن بينها ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع، ولكن كل هذا انتهى بفضل توجيهات الأستاذ المشرف، الذي قام بإرشادي ونصحي وساندني في انجاز هذا البحث، كما أن المرحلة الاستثنائية التي تعيشها الجزائر وإطالة عمر العطلة جعلتنا نتوقف عن العمل لمدة تقارب الشهر.

وفي الأخير أتوجه بالشكر إلى من كانت لي في الحياة سندا وهي أمي كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف محمد حصابية الذي اقترح علينا الموضوع وتوليه الإشراف، وعلى ملاحظاته القيمة وإرشاداته السديدة وتوجيهاته التي أفادني بها فله مني الشكر الخالص، وعبارات الثناء والامتنان والاحترام، وأرجو من الله أن يجعله ممن يدخل في قوله

تعالى:" **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** "[1].

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور عبد السلام همال الذي دلني على بعض المراجع التي تخدم موضوعي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة التي تحملت عناء المناقشة شاكرة لهم سلفا على ملاحظاتهم القيمة التي سيدلون بها.

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن تكون هذه الدراسات قد أسهمت في الكشف عن جانب مشرف من أعلام الجزائر الذين كان لهم دور فعال في ازدهار الجانب الثقافي بما فيه من صواب وإحسان فبتوفيق من الله، وما كان فيه من نقص أو خطأ أسأل الله أن يلهمنا الصواب، حسبنا الله ونعم الوكيل.

1 – القرآن الكريم: سورة المجادلة، الآية 11.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي للدراسة.

1-المغرب الأوسط

2-الرحلة

3-العلم

4-التعليم

5-الثقافة

تمهيد:

إن شرح الكلمات المفتاحية التي يتمحور حولها الموضوع من أهمية بمكان وذلك من أجل الولوج إلى الموضوع، وهذه المصطلحات الدالة على نضج الفكر والإزدهار الحضاري والعلمي، ولتبيين هذه المعاني والمفاهيم والمصطلحات التي وردت في هذا الفصل المفاهيمي، استأنست بالمعاجم والكتب اللغوية العربية، والموضوعات والتعاريف والجمع بينهما، فعرفت المغرب الأوسط، الرحلة، والعلم، والتعليم والثقافة، وبيّنت المفاهيم التي وردت في النصوص التي خدمت البحث.

1-المغرب الأوسط

تعتبر الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط من بين ضمن خريطة المغرب الإسلامي في عهد الوسيط، وهي مسألة معقدة، وهذا يرجع إلى استقرارها على وضع معين بفعل ديمومة حركة القبائل البربرية والعربية، وحالة القوة والضعف التي كانت عليها الدول والتي تعاقبت على حكمه، ودورها في استثمار هذه القبائل، وذلك لخدمة أغراض سياسية وعسكرية، ودعواتها المذهبية وإلى مطامعها الاقتصادية ورغبتها في التوسع والهيمنة.

لقد حددّ ابن خلدون الحدود التي تفصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وحدود إفريقية الغربية وذلك بقوله:((**وأما نهر ملوية آخر مغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه فوهة في جبال القبلة تازى، ويصب في بحر الروم عند غساسة، وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب زناتة، وقاعدته تلمسان ويجاوره من المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمرية وما يليها من بجاية، وأما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زوارة وكتامة، ومحسية وهوارة وهي اليوم ديار العرب، وأما إفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فتح**))[1].

1- ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ج6، ص، ص 133، 134.

ويذكر حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا، أن مملكة تلمسان فيها ثلاثة أقاليم الجبال، وتنس، الجزائر، مملكة تونس وتخضع لها أربعة أقاليم بجاية وقسنطينة وطرابلس الغرب والزاب، وجعل هذه الأخيرة تابعة لنوميديا وكان إقليم بجاية موضوع نزاع مستمر يتبع تارة سلطة الملك تونس وسلطة الملك تلمسان[1]. أما صاحب كتاب الاستبصار، فيذكر أن نهر ملوية مع جبال تازى هي الحد الفاصل بين المغرب الأوسط وبين المغرب الأقصى، وذلك بقوله((**وبين مدينة تلمسان مسيرة عشرة أيام في عمائر متصلة، وقد ذكرنا أن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا**))[2].

أما الشريف الإدريسي، فيحدد بداية ونهاية المغاربة الثلاثة صراحة عندما يذكر" أن مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط، وعيّن بلاد بني حماد التي قد تمتد حتى طبرقة، وأن بلاد تلمسان بامتدادها هي قفل بلاد المغرب[3].

ولماّ دخلت القبائل الهلالية رياح ورغبة والأثيج مملكة الحماديين في النصف الثاني من القرن الخامس، الحادي عشر ميلادي، انتشرت في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غرباً إلى الصحراء جنوبا بعناصرها القبلية، من بربر وعرب فيما بينهم، ومازاد في ترابطهما خضوعهما إلى سلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحدي الذي فرض منذ أواخر النصف الأول من القرن السادس هجري، الثاني عشر الميلادي نظاما مذهبيا إصلاحيا وسياسيا موحدا جعل من سكانها يشعرون بانتمائهم إلى موطن واحد[4].

1- حسن محمد الوازن الفاسي : وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ج1، ص، ص، 16،31.

2- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، المطبعة الجامعية، 1958، ص، 186.

3- موسى لقبال : المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 15.

4- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م/13م دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص، ص، 29،30.

وبالتالي يتضح أن الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط حسب آراء معظم الجغرافيين والمؤرخين فقد اتفقوا على الحدود الغربية للمغرب الأوسط، حيث ذكروا أن الحد الفاصل بينه وبين المغرب الأقصى هو نهر ملوية، أما حدوده الشرقية فقد كانت منقسمة إلى جزئين كما ذكرنا سابقاً .

إذن فما وراء ذلك شرقا هو المغرب الأدنى، وما وراء حد تلمسان غرباً هو المغرب الاقصى الذي ينتهي عند مضايق الزقاق.

2-الرحلة

أن أصل كلمة الرحلة في المفهوم اللغوي تعني الركوب والمطي فقد قال ابن منظور((ارحل الرجل البعير وهو رحل، مرحل، وذلك إذا أخذ الرجل بعيراً صعباً فجعله راحلة.

الرحلة اسم للارتحال والميسر، يقال دنت رحلتنا، ورحل فلان، وارتحل وترحل، بمعنى للإرتحال، وحكى اللحياني أنه لذو رحلة إلى الملوك رحلة))[1]، ويعرف عبد الحليم قنبس : الرحلة ((الرحل هو مركب لبعير[2] ، والرحلة في معجم مقاييس اللغة لابن فارس، رحل، الراء، والحاء، واللام أصل واحد، يدل على المطي والسفر، ويقال رحل، يرحل، رحلة والرحلة للارتحال ومعنى هذا أن كل كلمة اجتمعت فيها هذه الحروف لم يخرج معناها عن الحركة والانتقال والسير[3] .

1- محمد بن مكرم بن علي ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار الصادر للنشر ، بيروت، لبنان، ، ج6، 2004 ص،ص، 122،121، 123.

2- عبد الحليم قنبس: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان ، ساحة الرياض الصلح، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987، ص 55.

3- حمدي كريمة: أدب الرحلة ودوره في التواصل بين الحضارات، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورات جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016، ص 06.

الرحلة اصطلاحاً: لقد ورد لفظ الرحلة في القرآن الكريم في سورة قريش في قوله تعالى **((إِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ))**[1].

يمكن تعريف الرحلة على النحو التالي: الرحلة هي انتقال واحد أو جماعة أو عائلة أو أمة من مكان لآخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة....وان كان انتقال الرجل أو الجماعة لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية لذلك سميت الرحلة[2].

الرحلة هي الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رحلتنا، وهو عالم رُحلة أي يرحل إليه[3].

الرحلة هي الوجه الذي تأخذه وتريده، والرحيل: اسم ارتحال القوم للمشي، والرحلة هي جزء من حركة الحياة على الأرض، وقد لا تتجاوز مسافة قصيرة، وقد تمتد وتطول حتى تعطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر[4].

وبالتالي تعتبر الرحلة في جوهرها حركة تنقل من موضع لآخر، والرحلة لها اهداف، قد يتحقق هذا الهدف أو لا يتحقق، ويتم من خلالها اكتساب وتعلم خبرات ومعارف ناتجة عن الاندماج والمخالطة.

1- القرآن الكريم: سورة قريش، الآية 1-2-3-4.

2- عطلاوي عبد الرزاق: الرحلات العلمية وأثرها في حركة الإصلاحية الجزائرية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 1954، ص 25.

3- أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ص 07.

4- جمال الدين فالح الكيلاني : الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي دراسة تاريخية ، دار الزنبقة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م، ص93.

3-العلم لغة:

تستمد كلمة العلم جذورها من علم يعلم، وهي عكس الجهل، وكلمة العلم هو إدراك الشيء بحقيقته وتعني اليقين، وقيل إن العلم هو إدراك الكلي والمركب[1].

العلم بكسر والسكون في عرف العلماء يطلق على معاني منها الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً يقيناً أو غر يقيني، ولفظ العلم يطلق على المقسم وهو مطلق الإدراك وعلى قسم منه وهو التصديق، إما بالاشتراك بأن بإزائه أيضاً[2].

علم الشيء عرفه، وجمع علم، علوم، مثل علوم العربية كالنحو والصرف ويقال العلم علامة، وسيد القوم والعليم هو كثير العلم[3].

العلم هو نقيض الجهل، علم علماً، وعُلم هو نفسه الرجل العالم وعليم من قوم عُلماء فيهما جميعاً[4].

-العلم اصطلاحاً:

والعلم في الإصطلاح يقصد به إدراك الشيء بحقيقته، ويتكون من مجموعة مسائل وأصول كلية، تدور حول موضوع واحد، وتعالج بمنهج معين وتنتهي إلى بعض النظريات والقوانين كعلم الزراعة وعلم الفلك[5]. ونعني بالعلم هو المعرفة والدراية والإدراك والإلمام بالحقيقة والمعرفة بكل ما يتصل بها بقصد إذاعتها ونشرها بين الناس[6].

- سعيد اسماعيل صني : قواعد أساسية في البحث العلمي، ط2، شبكة الألوكة للنشر، المدينة المنورة، السعودية، 20101، ص 54.

2- العلامة محمد علي التهاوني: موسوعة كشّاف المصطلحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيق العجم، تحقيق، علي دحروج، ط1، مكبة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، 1966، ج2، ص 12-19.

3- محمد أحمد زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2003، ص 989.

4-ابن منظور: المصدر السابق، ص 3083.

5-محمد أحمد زقزوق: المرجع السابق، ص 989.

6- نصر سليمان، سعاد سطحي: منهجية إعداد البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإسلامية، د،ط، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص13.

والعلم يأتي للدلالة على مجموعة الحقائق والوقائع والنظريات والمعلومات التي تزخر بها المؤلفات العلمية، كما يعرف العلم بأنه نسق المعارف العلمية المتراكمة أو مجموعة المبادئ والقواعد تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها، وهو مصدر لكل نوع من أنواع المعارف وتطبيقاتها[1].

العلم يتعارض مع الجهل ومع الرأي ومع الإيمان ويعرفه كانط بأنه يتناول اليقين الدقيق. بالمعنى الحقيقي هو العلاقة بين الذات العارضة والقصية المعروفة على أنها صحيحة، كما أن اليقين هو الشعور بالطمأنينة الذي يحدث لدى وعي هذه العلاقة، زد على ذلك أن العلم لا يجوز أن يوضع في مقابل الشك[2].

وهكذا يعتبر العلم نقيض الجهل وهو إدراك الأشياء على حقيقتها ويقصد به اليقين، والعلم يتكون من مجموعة من مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع واحد وتعالج بمنهج معين، والعلم المقصود به في العصر الوسيط من جملة المعارف الدينية التي تحتاج إلى علوم مساعدة كاللغة والأدب والحساب وغيرها.

4-التعليم :

عند القاموس المنجد نجد أن كلمة " تعليم" يشتق من علّم- يعلم تعليماً، ويقال علّمه الصنعة وغيرها بمعنى جعله يعلم[3].

جاء في معجم لسان العرب: مادة (ع. ل. م): العلم نقيض الجهل، علم، علماً والعلم هو نفسه، ورجل عالم، وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً، قال سيبويه، يقول العلماء من لا يقول إلا عالماً، قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له،

1- محمد الباقر يعقوب: التصور الإسلامي وأثره في إدارة المعرفة ، مجلة الإسلام في آسيا الصغرى، العدد 4 ديسمبر، الجامعة الاسلامية بماليزيا، ماليزيا، 2011م، ص،ص3-4.

2- أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ج1، ص 1243.

3- محمد علي السمان : التوجيه في تدريس اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص11.

وطول الملابسة صار وكأنه غريزة، ولم يكن على أول دخول فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً،...والعلاّم وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالماً جداً والهاء للمبالغة كأنهم يريدون داهية من قوم علاّمين وعلاّم من قوم اللحياني، وعلِمت الشيء أعلمه علماً: عرفته قال ابن البري وتقول علم وفقه أي ساد العلماء والفقهاء[1].

ومن خلال هذا التعريف اللغوي يتضح أن معنى التعليم يدل على تعلم وتفقه الإنسان وعلم الشيء أي علمه علماً حتى صار ملماً بالعلم الذي تعلّمه.

- التعليم اصطلاحاً:

إن التعليم هو نقل المعرفة من جيل لجيل. والتعليم هو فن مساعدة الآخرين على التعلم وهو يثير نشاط المعلم والمتعلم لاكتساب نوع جديد من السلوك، وبالتالي فعملية التعلم تنصب على المعلم والمتعلم ولا تكون لها نتيجة، إلا بقدر ما تساعد على حدوث التعلم، والتعليم مهنة من أفضل المهن الإنتاجية، حيث أنها تخلق القوة البشرية الناضجة الضرورية اللازمة لبناء المجتمع وتطوره، وتقوم على مجموعة متكاملة من المعارف والأفكار تستدعي تدريباً عقلياً مناسباً فهي تركز على الأنشطة العقلية أكثر من الحسية[2] . التعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفصائل الخلقية والصناعات العلمية في الأمم.

والتعليم ليس سوى إخراج ما في القوة إلى الفعل، والتعلم هو الخروج من القوة إليه[3].وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم إن الصنائع منها البسيط والمركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي

1- فتيحة حنان: تعليم الصور البلاغية للسنة الثانية من المرحلة الثانوية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016، ص7.

2- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، د،ط، 2006، ص 127.

3- سميح دغيم: موسوعة مصطلحات العلوم الإجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي، ط،1، لبنان للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص، ص 284-285.

يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً، ولأنه مختص بالضرورة الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون التعليم لذلك ناقصاً، ولا يزال الفكر يُخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئاً على التدريج حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال، وإذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الأمور الصناعية، فلابد له إذن من زمان.

وقد كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق أو جيل، ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل إمام من الأئمة المشاهير واصطلاح في التعليم يختص بها شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الإصطلاح ليس من العلم، وإذ لو كان العلم واحداً عند جميعهم ألا ترى علم الكلام، كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين[1].

إن التعليم هو جعل الآخر يتعلم بمساعدته على التعلم وصولاً إلى تحقيق الأهداف التربوية المطلوبة، وتشمل العملية التعليمية على إثارة القوى العقلية للمتعلم ودوافعه، وتحفيزه، وزيادة نشاطه وتوفير الكيفيات والإمكانيات والبيئة اللازمة للتعلم، وهو تعديل سلوك المتعلم، ولا تعلم من دون تعليم، ومهمة التعليم اكتساب المتعلم مجموعة من المعارف والحقائق والمهارات والمفاهيم والمبادئ والاتجاهات والقيم، وتطوير قدرات المتعلم العقلية والأداتية والقيمية الوجدانية من خلال توفير الفرص اللازمة لاشتراك المتعلم في العملية التعليمية وممارسة الأنشطة بفاعلية وإيجابية عالية وتمكينه من توظيف ما تعلمه وما اكتسبه في خدمة متطلبات حياته ومواجهة مشكلاته، وهذا يعني أن التعليم عملية تتطور مع تطور أهداف التعليم التي تتصل بحاجات المتعلمين وميولهم التي تتسم بالتغير وعدم الثبات[2].

1- ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق، ج1، ص، ص 501، 544.

2- محسن علي عطية: المناهج الحديثة وطرائق التدريس، د، ط، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م، ص، ص 172،171.

وبالتالي التعليم هو نقل المعرفة والفكر من جيل إلى جيل، ولا يحصل ذلك دفعة واحدة وإنما يحصل في أزمان وأجيال.

والتعليم هو جعل الآخر يتعلم وذلك بمساعدته على التعلم ليصل إلى تحقيق الأهداف التربوية والعلمية المطلوبة.ويعتبر التعليم مهنة من أفضل المهن الإنتاجية، والتعليم هو كل ما يقدمه المعلم للمتعلم من معارف وما يكسبه من مهارات في إطار العلمية التعليمية ويجعل المتعلم قادرا على شتى الموافق الحياة.

سبب تسميتها بالرحلة العلمية:

- الرحلة العلمية

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين فيها الرحلة العلمية وأشهر رحلة علم وردت فيه، وهي موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه((**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا....**)). فهذه الآية من سورة الكهف تدل على أن الله دعا إلى طلب العلم، مما دفع بالمسلمين إلى السعي إلى طلب العلم من مكان لآخر، مع الحرص على لقاء العلماء مباشرة والأخذ منهم[1].

1- القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية من 60-70.

إن الرحلة العلمية هو ارتحال الطالب لغرض التزود من العلوم بلقاء المشيخة والعلماء ولكشف أمور علمية حتى يتم حصول الكمال والمعرفة، هذا ما يؤكده ابن خلدون في قوله:" والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ومما ينتحلون به من المذاهب والفصائل، تارة علماً وتعليماً وإلقاءً وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكيات عن المباشر والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[1].

وهكذا فإن الرحلة في طلب العلم هو باب مشهور من أبواب الشريعة الإسلامية.

-الثقافة:

أ- الثقافة لغة:

تعتبر الثقافة التي شاع استعمالها دون الاتفاق عليها، فقد تضمنها القرآن الكريم بقوله تعالى((**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**)) [2].

كما وردت كلمة الثقافة في القرآن الكريم في عدة مواضيع منها بقوله تعالى((**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**))[3]

كما وردت كلمة الثقافة في معجم المقاييس اللغة لابن فارس:((ثقف) الثاء، والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع وهو إقامة، ويقال ثقفت القناة إذا أقمت عوجها، قال: نظر المثقف في كعوب: قناعته حتى يقيم ثقافه مناده، وثقفت هذا الكلام من فلان، ورجل ثقف لقف وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء ويقال ثقفت به إذا ظفرت به[4].

1- ابن خلدون : مقدمة، ضبط المتن ووضع الخواشي والفهارس خليل شحّادة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان2001م، ج1، ص 784.

2- القرآن الكريم:سورة البقرة، الآية 191.

3- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 91.

4- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكارياء: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي للنشر والتوزيع، طهران، 1404، ج1، ص، ص، 382-383.

وجاء في لسان العرب: ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة حذقه، ورجل ثقف وثقف حاذق فهم.

ولقد ورد لفظ الثقافة كمصدر بمعناه الحذق، وثقف الرجل ثقافة، أي صار حذقاً خفيفاً[1].

ويشار إلى أن كلمة الثقافة Culture قد اكتسبت معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية Cultes ولكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن فلاحة الأرض ومع بداية القرن الثامن عشر اتخذت معنى يعبر عن التكوين الفكري عموما[2].

-الثقافة إصطلاحا:

الثقافة معرفة علمية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري وتتجلى في السلوك الواعي للإنسان، فرداً أو جماعة في تعامله في الحياة الإجتماعية مع الوجود بأجزائه المختلفة[3].

الثقافة هي مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الإجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً، العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[4].

يقول تايلور: إن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات والأخلاق والقوانين والأعراف وغيرها من الاستعدادات والعادات التي يكسبها المرء بوصفه عضواً من أعضاء مجتمع ما[5].

1- عزام أبو الحمام: الإعلام الثقافي جدليات وتحديات، ط1، دار النشروالتوزيع، الأردن ، عمان، 2010م، ص 72.

2- نفسه ، ص 71.

3- عزمي طه السيد حسين: نظرة جديدة للثقافة ومدخل إلى علم الثقافة الإسلامي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، 2015، ص69.

4- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، 1984، ص74.

5- محمد الشيكر: مجزوءة الطبيعة والثقافة، إفريقيا الشرق، 2000م، ج2، ص24.

إن مفهوم الثقافة في اللغة العربية يعني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكل القيم التي تصلح الوجود الإنساني وتهذبه، وتُقوم إعوجاجه فهو مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكل المعارف والعلوم النافعة الصالحة ولا يدخل في تلك المعارف أوالعلوم أو القيم التي تفسد وجود الإنسان ولا تتسق مع مقتضيات التهذيب، والتسوية وتقويم الإعوجاج[1].

الثقافة هي تلك المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط كالتاريخ واللغة والأدب والفلسفة والفنون من جهة نظر خاصة عن الحياة، فالثقافة بمعناها العام هي مجرد المعرفة النظرية وهي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات من جهة نظر خاصة عن الحياة، فالثقافة بمعناها العام هي مجرد المعرفة النظرية وهي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات[2].

لقد أدى تعدد المصادر والمراجع بالتعريف بمفهوم الثقافة حيث اختلفت الآراء في تعريفها ودلالتها من ذهن لآخر، وبالتالي يتبين أن الثقافة لا تقوم على تعريف واحد، وإنما تشمل عدة معاني ومصطلحات فهناك من اعتبر أن الثقافة تنحصر على الجانب التقدم الحضاري وجعل من مصطلح الثقافة هو مرادفاً للحضارة وتجاوز الحياة البدائية، وبين من ينظر إليها فيربطها بنمط الحياة الكلي وتجاوز الحياة البدائية، وبين من ينظر إليها فيربطها بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، في حين نجد أن هناك من يربط مدلول الثقافة بالجانب الفكري. وبالتالي فإن التطور الذي طرأ على مفهوم لفظة الثقافة يعتبر سجل مهم ومتواصل من ردود الأفعال للتغييرات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

1- نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدينة، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ط2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، عمان، 1994، ص31.

2- سامي أحمد الزهو: الثقافة والتثاقف في العنف واللاعنف في تاريخ الإسلامي، مجلة جامعة تكريت، المجلد2، العدد6، جامعة تكريت، 2013، ص 132-133.

قيام دولة الموحدين في المغرب الأوسط:

إن مؤسس الدولة الموحدية وواضع أسس دولتهم هو محمد بن عبد الله بن تومرت بن هرغة إحدى قبائل المصامدة في سوس الأقصى، وبعد وفاته (ت 524هـ،1130) تولى بعده عبد المؤمن بن علي القيادة[1].

وعقب دخول عبد المؤمن من مراكش أخضع المغرب الاقصى وكسب طاعة أهله وقضى على الدولة المرابطية وعمل على بسط السلطان الموحدي على بلاد المغرب[2].

خلال النصف الأول من القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي سار عبد المؤمن بن علي* بجش صخم واستولى على تلمسان وسقطت سنة (539هـ، 1145هـ)[3].

وبعد سبع سنوات من توغل الموحدين في تلمسان ووهران، وجه عبد المؤمن اهتمامه نحو الشرق، واتجه نحو المغرب الأوسط، فدخل جيشه إلى مدينة الجزائر[4].

وقصد مملكة يحي ابن عبد العزيز بن منصور بن المنتصر الصنهاجي، وكان يملك بجاية وأعمالها إلى موضع يعرف بسيويسرات، وهذا الموضع هو الحد فيما بينه

1- عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، 1975م، ص،ص،ص 43،42،35.

2- محمد السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2007، ص 49.

*- عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علون، الكومي، أمه كومية ولد في آخر سنة 487هـ في ايام يوسف ابن تاشفين، وتوفي في جمادى الآخرة سنة 588هـ، ومدة حكم ولايته 37 سنة،(ينظر عبد الواحد المراكشي" ت 647": المعجب في تلخيص أخبار المغرب [من لدن الفتح الاندلسي إلى آخر عصر الموحدين] تحقي محمد سعيد العريان، القاهرة، 1962م، ج3، ص،ص،ص 274،273،272)

- ويرى المؤرخون أن عبد المؤمن ابن علي كان يقول لمن يذكر له اسم قبيلة كومية البربرية التي ينتمي إليها، وهي من بطون زناتة بنواحي تلمسان، أنا لست منهم، وإنما نحن لقيس عيلان ولكومية، علينا حق الولادة، بينهم، والمنشأ فيهم ، وهم الأخوال (انظر: احمد مختار العابدي: دراسة في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية، ص 111.

3- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية،2004،ص،ص، 217-218.

4- عبد العزيز شهبي: تاريخ المغرب الإسلامي، " مختصرات لطلاب الجامعات"، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 79.

وبين لتونة، فقصد عبد المؤمن سنة 540هـ، وحاصر بجاية ووصلت جيوشه إلى قسنطينة[1]، وظلت الحرب أربعة أيام وانتهت بهزيمة العرب، وفي عام 553-1183م، وهاجم الموحدون المهدية، ثم عملوا على تصفية الإمارات العربية التي خرجت على يد زيري، واستولوا عليها جميعاً وخضعت لهم كل من افريقية وأصبح سلطان الموحدين يمتد من برقة حتى تلمسان وإلى المغرب الأقصى وبذلك دخلت دولة الموحدين طور جديد وهو عصر الإزدهار[2].

1- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 273.

2- محمود السيد: المرجع السابق، ص 50.

الفصل الثاني

دوافع الرحلة العلمية

1-دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية في المغرب الأوسط في العهد الموحدي.

2-إزدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط.

3- دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية في المشرق.

4-الحياة العلمية في حواضر المشرق

5-دور المراكز العلمية في حواضر المشرق.

6- دور آداء فريضة الحج.

7- التواصل التجاري.

8-طرق المواصلات.

9- صعاب الطريق .

10- محطات الرحلة العلمية.

تمهيد:

إن ما تحمله الرحلات من نتاج فكري وعلمي، سيكون حتما بفكرة التواصل والاحتكاك لذا يستدعي الحديث عن دوافع التواصل بين علماء المغرب الأوسط الإسلامي والمشرق في العصر الأيوبي، حيث عُدت مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية آنذاك، إلى كونها علامة من علامات التواصل بين جناحي العالم الإسلامي، حيث نرى عددا كبيرا من أعلام المغاربة كانوا يترحلون ويتنقلون بين حواضر المشرق بهدف الوازع الفكري والديني بالدرجة الأولى، وكان وراء هذا الزخم الهائل من أفواج الرحالة العلماء من المغرب الأوسط عدة اسباب ودوافع، ساعدت على هذا التحرك مما نتج عنه تواصل معرفي وروحي بين علماء المشرق الإسلامي.

1-دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية بالمغرب

اتصف ابن تومرت بالعلم وشغفه به ودعوته إليه واعتماده إياه أصلا للإيمان وأساسا للحياة الاجتماعية، كما بين ذلك في تأليفه لكتاب أعز ما يطلب وسعى في تحقيقه كان من أثاره، أن أصبح جل أمراء الدولة الموحدية شغوفين بالعلم متزينين به في أشخاصهم مشجعين عليه في رعايته[1].

كما نجد الخليفة عبد المؤمن قد جمعت معارفه بين الأصول والحديث واللغة والقراءات والأدب والتاريخ مع المعرفة بالجدل متأثرا في ذلك بشيخه ابن تومرت.[2]

وقد كرم الخليفة عبد المؤمن العلماء عارفا بأقدارهم مما دفع الكثير من العلماء إلى التوجه إليه والانضواء تحت لوائه[1].

1- عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1983م، ص 382.

2- ابن بشكوال كتاب الصلة: ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي، تحقيق أبو العلا العدوي، ط1، مكتبة الثقتفة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2008م ، مصر، ص – 14-15.

أما يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (ت 580هـ/1184 م) فقد جمع بين العلمي الشرعي والعلم العقلي مما جاء في الوصف وكان يعقوب محبا للعلماء ساعيا في تقريبهم منه وتشجيعهم لهم على التأليف وإنتاج العلم ومن أشهرهم من شملهم عطفه وتشجيعه وانفتح لهم بلاطه الفيلسوف أبو بكر بن طفيل (ك 581 هـ/1185م)[2].

إن ازدهار المعارف وتنوعها من سمات العصر الموحدي البارزة، فقد استوت الشخصية العلمية للمغرب الإسلامي في صورتها التامة، بفضل طابع الدولة العقائدي وتشجيع الخلفاء والسادات بني عبد المؤمن، فقد أسسوا المدارس وشيدوا المساجد، ونظموا خزائن للكتب، ووفروا جو علميا[3].

وقد كان فضل الموحدين على المعارف عظيم، فقد أسسوا المدارس، وعمروا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة، وأسسوا خزائن للكتب، وسبقوا للتعليم الإجباري وابتكروا التعليم المجاني ووضعوا مناهج التعليم[4]

فحافظوا على جوهر الذين ينشر أصوله العقلية والنقلية وتركوا للعقول حريتها تجري طلقة العنان في ميادين البحث والاستنتاج، ونشطوا أهل العلم قاطبة بإدرار الرزق مليهم وشملوهم بعنايتهم وخالطوهم في مجالسهم [5]

1- حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخزناجي، مصر،1980 م ، ص445 .

2- عبد المجيد النجار: مرجع سابق 384.

3- عز الدين موسى: مرجع سابق، 53.

4- محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م، ص 14.

5- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج2، ص 335.

وأخذت الحياة العلمية والأدبية بالنمو والاتساع نتيجة التشجيع والقيام بالرحلات العلمية بين الحواضر المغربية والمشرقية طلبا للعلم والحج معا أو طلبا للعلم [1].

2-ازدهار الحياة العلمية بحواضر المغرب الأوسط

يزخر المغرب الأوسط في العهد الموحدي بالعديد من الحواضر والمراكز الثقافية التي لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في أنحاء قطر شرقه وغربه وهذه الحواضر لا تختلف عن مثيلاتها في المشرق العربي أو في المغرب الأقصى والأدنى، ومن بين أهم الحواضر في المغرب الأوسط نذكر ما يلي:

أ- تلمسان*:

تعد مدينة تلمسان من المدن المغرب الأوسط التي نالت شهرة كبيرة كمركز من أهم المراكز الحضارية والثقافية في المغرب الأوسط، وإحدى أهم العواصم التاريخية والحضارية في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة[2].

ويعود سبب ازدهار الفكر والثقافة بتلمسان* خلال هذه الفترة وما بعدها إلى موقعها الاستراتيجي بين الشرق والغرب الأندلسي والشمال التلي والجنوب الصحراوي، فهي منبت

1 -رضا عبد الغني الكساسبة: النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004م ص 123.

2- بن ذيب عيسى وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007 م، ص 143.

*- تلمسان : يتألف إسمها من كلمتين بربريتين(تلم) ومعناها تجمع، (سان) ومعناها اثنان" تجمع إثنين"، الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع بين الطبيعة التل والصحراء لوقوعها في مكان ملائم، ونواة هذه المدينة القديمة قرية أقادير، اختطها بنو يفرن الزناتيون في العصر القديم (أنظر: يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 م، ص 15).

ومحط أنظار العلماء والمفكرين وطلاب العلم والمعرفة الذين يفدون، إليها من غرب الأندلسي، ومن المشرق للتعلم والتعليم في مدارسها الناهضة ومساجدها الجامعة [1] .

وهذا ما يؤكده البكري في قوله" تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها طواحين، وهونهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة، وموسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الآفاق ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم تزل تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك"[2].

وبعد استيلاء عبد المؤمن بن علي على تلمسان سنة (534هـ/1139م) تزايد التوسع العمراني، وانتشار التعريب والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، وقد استفادت تلمسان بعناية من طرف الموحدين لها، وأصبحت مقرا لولايتهم، ومركز إشعاع وأعطاها عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي[3].

وقام بتحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس إلى عمرانها وبني بها مساجد مثل مسجد جامع جميل، وقلعة المنشور التي تتوسط المدينة ومسجد ومدرسة الشيخ أبي مدين الغوث (ت 595هـ/1198م) والذي أخذ التصوف السني مباشرة عن عبد القادر الجيلالي أو الكيلالي (ت561هـ- 1166م)[4].

1- بن ذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص 06.

2- أبو عبد الله البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب: تحقيق حماه الله ولد سالم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص 164.

3 - الجيلالي شقرون: تلمسان مركز اشعار حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، جامعة الجيلاني الياس، الجزائر، دت، ص 2.

4- يحي بوعزيز: المرجع السابق ، ص ص 23-24، 37-38.

وعمل عبد المؤمن على نشر مبادئ الموحدين فعمم بالكتاتيب والرباطات التي كانت تعتبر من المعاهد العلمية والحربية الهامة بالمغرب، وهكذا كان للموحدين دور في تنشيط الحركة الثقافية يتلمسان، من خلال اهتمامهم بمختلف العلوم خاصة الدينية والتي كان علم القرآن في مقدمتها [1].

وشجعوا على البحث والدرس والتحصيل في مجال العلوم النقلية والعقلية ودراسة المسائل الفقهية والعقدية، وفكوا القيود التي فرضها الفقهاء المرابطون، وقد أثر ذلك في تنمية التصوف وانتشاره في بلاد المغرب وصارت كتب الغزالي، وغيره من المتصوفة السنيين، والفلسفة تدرس في المؤسسات التعليمية وتعقد لها مجالس الفقهية والفكرية[2].

وقد تخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام والفقهاء والأدباء المبرزين[3]، نذكر منهم الفقيه المحدث القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري التلمساني والشيخ أبي إسحاق إبراهيم التنسي، أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وعلى يد هؤلاء يتلقى الطلبة دروسهم، فينتقل إليهم الطلبة من مختلف الأقطار والبقاع للسماع عنهم[4].

حتى غدت مساجدها ومدارسها معيارا يقاس به نمو الحركة العلمية ومؤشرا على مدى ازدهار الثقافة والفنون والآداب[5].

1- الجيلالي شقرون: المرجع السابق، ص2.

2- عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ط1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ص 384.

3 - صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر، في العهد الوسيط من خلال المصادر، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أو نوفمبر، 1954م، 2007م، ص 135.

4 - بن ذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص 164.

5- صالح بن قربة وآخرون: المرجع السابق، ص 135.

ب- ورجلان*:

ورجلان مدينة في الصحراء المغرب الأوسط تبدوا نقطة صغيرة جدا على امتداد الصحراء الشاسعة تقع على الحافة الغربية للعرق الشرقي الكبير، وتبعد عن الجزائر ،بمسافة ثمان مائة كلم برا، وتتربع واحاتها على مساحة 1500 هكتار وقد ارتبطت ورجلان بالدولة الرسمية وتبنى أهلها المذهب الاباضي جعلها وثيقة الصلة تبهرت في مجال الثقافي[1].

وهي آهلة بالسكان وعريقة في القدم، وما انتشر المذهب الاباضي فيها في أوائل القرن الثاني الهجري بين سكانها وهم أخلاط من البربر والأعراب وبعد استقرار الاباضية بها أصبحت معقل دين والعلم والصلاح والتقوى ووفد إليها من أقاصي البلاد الإسلامية، فطاحل من العلماء المحققين من ذوي النجدة والفروسية، فأنجبت عباقرة من المشايخ البارزين المجتهدين الحائزين على العقول والمنقول[2].

وما يميز الحياة الثقافية في هذه الحقبة التاريخية هو إنشاء نظام خاص للتعليم وهو ما يسمى بنظام الغرابة الذي أرسى قواعده أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي وهو نظام تربوي قبل أن يكون نظاما اجتماعيا، وقد حدد مهام القائمين على نظام التعليم كشيخ الحلقة والعرفاء المساعدين له، كما تم وضع نظام تربوي دقيقة لحلقة الدرس مثل أوقات الدراسة، وطريقة والعقوبات[3].

---

*- ورجلان: بفتح أوله وسكون الثانية وفتح الجيم، وآخره نون كورة بين افريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات، يسكنها قوم بربر ومجّانة، وإسم هذه الكرة فجوهه: (أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1977م، ج5، ص 371.)

1- مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ط2، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2007م، ص، ص 20،77.

2- حمو محمد عيسى النوري: دور الميزبيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا بحوث أولية،د،ت، ج1،ص 111.

3- بن ذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص 64.

وتتفق المصادر الاباضية أن أهل الحلقة آمر ومأمور فلآمر اثنان شيخ الحلقة والعريف، والعريف اثنان منفرد وغير منفرد، فالمنفرد اثنان عريف أوقات الخدمات والنوم، وعريف العرفاء وهو من حملة القرآن، يكون منهم من يكتب عليه القرآن ألواحهم يصححونها ويحفظونها، والعريف على أوقات الدراسة ربما كان واحدا أو أكثر وذلك حسب الحاجة، أما بالنسبة إلى المأمور ويقصد به الذين يتلقون الأوامر والمأمور ثلاثة طبقات، طبقة القرآن وطبقة فنون العلم، والعاجزون[1].

ولم تقتصر مهمة شيخ الحلقة في اختيار التلاميذ بل كان يطلع على ظروفهم وأحوالهم المعيشية " فمن منهم مؤسرا نظر له، فيمن يخدم ما يقتات به من طعام، ومن كان مقترا نظر له فيمن يتبرع له بالخدمة والإطعام"[2]:

كما ساهم العديد من العلماء في إثراء الحياة الثقافية في ورجلان، فقد عرفت هذه الأخيرة حركة علمية نشطة، إضافة إلى نشاطها الاقتصادي فقد كانت مركزا رئيسيا لطرق القوافل بين شمال إفريقيا وبلاد السودان، وكانت محطة في الطريق القوافل بين نوميديا والهقار نحو بلاد النيجر[3].

ومن بين العلماء الذين لعبوا دورا كبيرا في ازدهار الحياة الفكرية في ورجلان هو الشيخ أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي المعروف بالطرفي الذي تلقبه المصادر الاباضية بـ شيخ الرأي الناصح، وقد تولى القضاء في ورجلان وأثمرت حلقاته العلمية بتخرج العديد من العلماء[4].

---

1 –أبو العباس أحمد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، حققه ابراهيم طلاي، ط1، مطبعة البحث، قسنتطينة، الجزائر، 1974م، ج1، ص–ص 171–172.

2 –الدرجيني: المصدر السابق، ص183.

3– مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص 20.

4– بن ذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص 67.

ومن بين الأسرة الدولة الرستمية الذين فروا إلى ورجلان نذكر يعقوب بن أفلح الرستمي الذي فر مع أسرته إلى ورجلان، وقد أكرمه أبو صالح، وقد عرف يعقوب بعمله وخاصة ينبوعه في علم التنجيم[1].

وكذلك العالم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الذي رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، والتعرف على المجتمعات الإسلامية وعواصم المشرق العلمية، وقد كان أبي يعقوب إمام في العلم، وخلف تراث فكري هائلا ومن أهم مؤلفاته في تفسير" كتاب عجيب، وكتاب ترتيب المسند، وكتاب في الفقه بعنوان " العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف" وغيرها من مؤلفاته[2].

أبو نوح يوسف وابنه زكرياء يحي، وقد كانا من كبار العلماء، وقد أسهموا في المجال العلمي، من خلال حلقات العلمية[3].

وقد كانت الدروس التي تلقى في المساجد وأغلبها كانت عبارة عن دروس الوعظ والإرشاد وتعليم ما لا يسمح الإنسان جهله من أمور الدين أما دروس المجالس فكانت كثيرة ومتنوعة، منها التفسير والحديث والفقه والأخلاق، والعلوم العربية وسير السلف الصالح، كما كانت كتب متداولة في هذه المجالس يقرؤها خاصة كتب الفقه[4].

1- أبي زكرياء يحي بن أبي بكر: كتاب السير الائمة وأخبارهم، حققه اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص، ص190،191.

2- مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق -ص-ص-ص-139-148-153.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ص، ص510-511.

4 -بن ذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص70.

أ- قلعة بني حماد:

شكلت قلعة بني حماد منذ تأسيسها في سنة (398هـ/1008م) على يد حماد بن بلكين من بين أهم الحضارة العربية في المغرب الأوسط، وذلك نظرا لما كانت تتمتع به من مظاهر التمدن والرقي الحضاري[1].

إذ يصفها البكري بقوله " وهي قلعة كبيرة، ذات منعة وحصانة، فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل افريقية، وهي اليوم مقصد للتجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام، وسائل بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة منهاجه"[2].

وعندما اختط حماد القلعة استكثر فيها من المساجد والفنادق، وقد كان المسجد يلعب دورا تعليميا، ولم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسيين، وقد عرف في المغرب العربي المسيد وهو ملحق كان يفرد للناحية التعليمية بالمسجد وقد تطور هذا المسيد في القرن الخامس الهجري فأستقل بنفسه عن المسجد وصار عالما بذاته من حيث البناء والمقصد[3]، حيث ازدهرت الحياة الثقافية وكثر عدد الفقهاء والأدباء والمتصوفة وانتشرت المراكز العلمية بها، وهذا بفضل نشاط الحماديين بها، وذلك من خلال تقريب العلماء إليهم ومنافستهم لبني عمومتهم، فقد كان بن علناس (454هـ-481هـ) يستقدم الأطباء إليه ويغدق صلاته عليهم[4]، ضف إلى ذلك أن زحف بني هلال على المغرب الأوسط (460هـ) كان له أثرا كبير على الحياة الفكرية ويظهر ذلك من خلال تأثير لغة

1 -مفتاح خلفات: اسهامات القلعيين في الحياة الثقافية ببجاية ، دورية علمية الآداب واللغات، العدد الثالث، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م، ص 180.

2 -البكري: المصدر السابق، ص،134.

3- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2 دار الوفاء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص 253.

4 -رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية ، للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص،282.

التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على لسان العربي في الأرياف والمدن[1].

وقد ساعد على ازدهار الأدب والعلوم في عهد بني حماد عوامل أخرى، حيث أصبحت القلعة مقصد العديد من طلبة العلم، وأرباب الصنائع والحرف من العراق ومصر وبلاد الشام والقيروان، وغيرها من الحواضر الإسلامية فنقلوا معهم أحدث الأفكار والأساليب في مختلف الميادين، وأسهموا بدورهم في تطوير القلعة وازدهارها، وقد سجلت الحياة العلمية نمو مزدهرا على يد العديد من رجالات العلم [2] وظهر في الحمادية العلماء والشعراء والكتاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون، وكانت لعلوم الدين المنزلة الأولى، ويليها علوم العربية وكانت العربية هي لسان الرسمي للدولة[3].

ومن بين العلماء الذين عرفتهم قلعة بني حماد نذكر ما يلي: أبو الفضل النحوي يوسف بن محمد بن يوسف (434هـ/513هـ) وقد كان كثير الترحال بين الحواضر الإسلامية، وكان متأثرا بأبي حامد الغزالي. وقد اشتهر بإجادته علوم الدين ، أحمد بن طاهر بن علي يحي الأنصاري الذي استقر بالقلعة وساهم في النشاط العلمي ، وأبو عبد الله بن زكرياء القلعي كان من كبار الشعراء في قلعة بن حماد[4] .

بن حماد بن عيسى بن بكر الصنهاجي القلعي توفي ما بين (628هـ / 640 هـ) وكان من كبار الأئمة، تلقى العلم في حاضرة القلعة وحاضرة بجاية ، وهو مؤرخ جليل

1- رابح بونار: مرجع سابق، ص، 248.

2- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص180.

3 -مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 266.

4 – توفيق نزاري عبد الصمد : جوانب من اسهامات القلعة في الثقافة الاسلامية، مجلة حوليات الأدب واللغات، العدد الثالث، جامعة المسيلة ، الجزائر ، 2013م ، ص ص 195- 196- 197.

عاش بعد قيام دولة الموحدين[1]ومن الأطباء نذكر الطبيب عمر بن اليدوخ أبو جعفر القلعي (ت 575 هـ أو 576 هـ) كان فاضلا خبيرا بمعرفة الأدوية المركبة والمفردة، وله حسن نظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها[2].

ولكن هذا النمو سرعان ما تلاشى وضعف بسبب تأثير الزحف الهيلالي على القلعة وهذا ما دفع بالناصر بن علناس إلى نقل عاصمته إلى بجاية سنة (460هـ / 1069م) وبالرغم أنها فقدت مركزها السياسي والاقتصادي كعاصمة الأولى للحماديين ، إلا أنها استمرت بالمحافظة على ارثها الثقافي ، كما أسهم علمائها برصيد الفكري والأدبي في ازدهار الحياة الفكرية[3] .

د/ : بجاية*:

تعتبر بجاية التي تأسست في القرن (5هـ ، 11 م) من بين مدن المغرب الإسلامي التي لا تقل شأنا عن باقي عواصمه، فقد برهنت الأحداث التاريخية المتتالية على الأدوار الإستراتيجية التي لعبتها بجاية سياسيا واقتصاديا في منطقة المغرب الإسلامي ، غير أن أعظم انجازات المجتمع البجاوي كانت في الميدان الثقافي[4].حيث شهدت بجاية ازدهارا

1- أبو العباس الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في مائتي السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه عادل نهويض، ط 2 ، منشوارات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1979 م ، ص 218.

2 – توفيق مزاري عبد الصمد : المرجع السابق ، ص 200.

3 – مفتاح خلفات : المرجع السابق ، ص 181.

*- **بجاية** : مدينة عظيمة كانت في عهد ازدارها تحتوي أكثر من عشرين ألفا من الدور العامرة ، بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر وعلى بعد اثنى عشر فرسخا من جيجل في الجهة الأعلى على عرض دنس اوديني ....كانت محصنة بأسوار عالية عندما دخلها الخليفة صاحب القيروان وأخضعها وقد عاد اليها العمران بعد ذلك ودور المدينة جيدة البناء ، وبها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم (أنظر: لما رمول كربخال : افريقيا ، ترجمة عن فرنسية عماد حجي ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، 1984 ، ص 377).

4 –محمد محمدي : المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة الحوليات التراث، العدد 13 ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2013 ، ص 1.

ثقافيا كبيرا ، وقد تضافرت مجموعة من العوامل مكنتها من أن توفر مناخ ثقافي يشجع على التطور الفكري والنهوض الحضاري ألا وهو انتقال الحماديين إليها ، بإضافة إلى السياسة التي أنتجها الأمراء الحماديون قد ساعدت على التطور الفكر في مختلف فنون العلم وازدهار الحياة الثقافية في بجاية[1] .

وبنهاية دولة بن حماد على يد الموحدين، ودخول المغرب الأوسط تحت نظام الحكم الموحدي فتحت بجاية صفحة جديدة، وأصبحت بذلك معقلا من أهم المعاقل الحركة العقلية التي عرفها الشمال الإفريقي [2].

وكانت محطة القوافل القادمة إليها من المغرب الأقصى ، وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع مما ساهم في جعلها أهم مركز ثقافي في المغرب الإسلامي[3] .

وقد جعل منها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي هدفا للحج الحقيقي وقبلة الثقافة وللحركة العلمية وله بهذه المدينة ذكريات ففيها التقى بإمامه الروحي محمد ابن تومرت ولم يكن عبد المؤمن الوحيد الذي شجع العلم ببجاية، حيث عمل الخلفاء الموحدون من بعده على تنشيط هذه الحركة [4].

فقد كانوا ينفقون على العلماء والفقهاء حيث نجد الخليفة عبدا المؤمن يجري المرتبات والأرزاق على الطلبة شهريا من بيت المال، ويمنع الأموال والهبات للعلماء[5]، وأصبحت هذه الحاضرة قبلة يتوافد إليها أفئدة من المسلمين من بلاد الأندلس، فأستهوت

1 –عيسى الذيب وآخرون : المرجع السابق ، ص 122.

2 –مفتاح خلفات : المرجع السابق ، ص 181.

3 –أبو عبد الله محمد الادريسي : نزهة خالمشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، ج1 ، ص261.

4 – امينة بونتشيش : بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين ، رسالة الماجستير ، منشورة جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م، ص75.

5 – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص7.

ألباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء، ومدرسي العلوم وأهل الفتوى والقضاء من بينهم الأندلسيين ومن المغرب الأدنى[1].

كما استوطنت بجاية جالية مسيحية قدمت من جمهوريات الايطالية والبرتغال واسبانيا ، لعل وجود هذه الجالية كان بسبب العلاقات التجارية بين بجاية وكافة المدن الأوربية والتي ساهمت في إثراء الحياة الثقافية خاصة وأنهم كان من بينهم أطباء وأدباء وصيادلة، ورجال الفكر بصفة عامة[2] .

وبذلك نشرت الدولة المؤمنية المعارف ونصرت الفلسفة، فظهر من الصوفية رجالا ذو علم، ومن مشاهير الصوفية الذين عرفهم المغرب الأوسط هو أبو مدين شعيب دفين تلمسان، استوطن بجاية ، فكان يقرئ بها رسالة القيشري وعبد الحق بن سبعين المتوفي سنة (669 هـ) سكن بجاية وقرأ بها قم لحق بالمشرق، وجاور مكة[3]، وزارها ليوناردو ديفنشي (1180م) وتلقى التعليم الرياضيات والعربية بها وعند عودته إلى ايطاليا ألف كتاب سماه liver – abaci سنة 1202 م وكتاب practica Geamitrica بمعنى الهندسة التطبيقية 1220[4]، أبو العباس احمد بن خالد من أهل مالقة، قرأ بالأندلس، رحل إلى مراكش وقرأ بها ، وبعدها رحل إلى بجاية وكان له دورا في نشر العلم ببجاية[5]، حيث عرفت هذه الحاضرة تطورا فكريا ورقيا حضاريا لا مثيل له إذ قامت بها مساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة ، ونبع بها علماء في مختلف العلوم والفنون ، وسطحي في سماءها أعلام للفكر الصوفي وهكذا أصبحت قبلة لطلاب العلم والمريدين من مختلف من

1 – أبو العباس الغبريني : المصدر السابق، ص 124.
2 – بن ذيب عيسى وآخرون : المرجع السابق، ص124.
3 – مبارك الميلي : المرجع السابق، ص 348.
4 – بن ذيب عيسى وآخرون : المرجع السابق ، ص 137.
5 – أبو العباس الغبريني : المصدر السابق ، ص 73.

الحواضر المغربية وحتى الأندلسية[1]، وساد في عهدهم نشاط فكري كبير في مختلف التخصصات، الأدب والفقه، التاريخ، الجغرافيا، الفلسفة وهكذا أعطى لبجاية مكانة راقية حتى أطلق عليها لقب : كعبة الشعر لأنها كانت مقصدا للطلاب من مختلف الحواضر الإسلامية.[2].

هـ / أشير :

بكسر الثانية وياء الساكنة وراء، وهي مدينة البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية في البر ، وقد كان أول من عمرها هو زيري بن مناد الصنهاجيحيث قام بتعميرها بالبنائين من المدن التي حوله من بينها مسيلة وطينة وتلمسان وغيرها[3]. وتعتبر مدينة أشير أول الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمادية، وتأسست هذه المدينة على يد زيري ابن مناد، وقد كان ذلك سنة (324 هـ /935م) وهذه المدينة لم يكن لها مثيل في المنطقة من ناحية التحصين ، حيث أن عشرة رجال بإمكانهم الدفاع عنها ، وذلك أنه لا يوجد مسلك يربطها ببقية العالم الخارجي ، إلا من الناحية الشرقية[4]، ولم يمضي وقت طويل على تأسيس مدينة أشير حتى صارت عامرة آهلة بالسكان وأضحت قبلة لكل أهل المغرب الأوسط قاطبة ، وبذلك شهدت هذه المدينة حركة اجتماعية نشيطة ومما زاد من حيويتها هو هجرة العلماء والفقهاء إليها ديناميكية كبيرة على الحياة الثقافية بها حتى اشتهرت المدينة بفقهائها وعلمائها ونورد في

1 – محمد محمدي : المرجع السابق ، ص1.

2 – محمد طمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 م ، ص 171.

3 – ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 ، ص202.

4 –بن ذيب عيسى وآخرون : المرجع السابق ، ص –ص ، 104–108.

هذا المقام شخصيات علمية بارزة حيث بلغت شهرتهم ببلاد المغرب والمشرق على حد سواء[1].

الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري هو إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصة وبالشام عامة استدعاه الوزير عون الدين أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة وزير المقتفي والمستنجد ، وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فسيره ن وبعد مدة سار من بغداد إلى مكة ثم عاد إلى الشام وتوفي فيها [2].

3-دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية بالمشرق

لقد سار صلاح الدين الأيوبي على نهج نور الدين الزنكي• بتطبيق الشرع في مسائل أمور الدولة وتنفيذ العدل والقضاء على المظالم ، واهتم بالمحافظة على أصول العقيدة الإسلامية[3].

وقد حرص على طلب العلم والأخذ عن العلماء والسير إليهم إدراكا منه بأهمية العلم ودوره في حياة المسلمين، وقد كانت له عناية بعلم الحديث وسماعه والحرص على طلبه، فعندما دخل العلامة يوسف بن رافع المعروف بابن شداد 632 هـ – 1234 م إلى دمشق طلبه صلاح الدين ، وسمع منه شيئا من الحديث[4].

---

1 –عياش محمد : مدينة أشير ، المجلة المغاربية للمخطوطات ، العدد 1، جامعة الجزائر مخبر المخطوطات ، الجزائر ، 2011 م ، ص41.

2 – الحموي : المصدر السابق ، ص 203.

• محمود بن زنكي عماد الدين الزنكي (511 هـ / 569 هـ) ملك الشام وديار الجزيرة ومصر ولد في حلب وانتقل اليه الملك في حلب بعد وفاة أبيه كان ملكا عادلا مجاهدا قاتل الصليبيين بنفسه في مواقع عديدة أثناء زحفهم على بلاد الشام ومن اعماله الاجتماعية المذكورة ، انه أقطع عربان البادية لضمان استقرارهم حتى لا يتعرضون للحجاج ، وكذلك شيد الكثير من المدارس من بينها مدرسة العادلية والزوايا للصوفية.

ينظر : اسماعيل العربي : المدن المغربية ، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م ، ص 159.

3 – علي محمود الصلابي : قيام الدولة الأيوبية ، ط1، دار الكتاب الحديث القاهرة ، مصر، 2008 م ، ص55.

4 – ناصر محمد علي الحازمي : المرجع السابق ، ص130.

وأما السلطان الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب الذي قال عنه المقريزي " وكان يحب أهل العلم ويؤثر مجالسهم، وعند شغف بسماع الحديث النبوي وكان يناظر العلماء وعنده مسائل عربية من الفقه ونحو يمتحن فمن أجاب عنها قدمه عنده وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه[1].

وقد اهتم سلاطين الدولة الأيوبية بالحياة الثقافية الذين عمدوا إلى إقامة المرافق التعليمية كبناء المدارس والمساجد والزوايا والخوانق[2].

وإلى جانب الملوك والأمراء هناك طبقة الوزراء والكتاب في ذلك العصر نذكر منهم القاضي الفاضل أبو علي محيي الدين اللخمي (ت 596 هـ) وزير صلاح الدين صاحب الطريقة الفاضلية في الإنشاء[3].

وهناك عماد الدين الأصفهاني (ت 597هـ)كاتب صلاح الدين ومؤرخه الحربي وشغف سلاطين الدولة الأيوبية حبا للغة العربية وآدابها وعلومها وقربوا إليهم الشعراء والعلماء والكتاب وشملوهم بعطفهم وكرمهم وهباتهم وخلعهم فاكتضت مجالسهم بأهل العلم والأدب[4].

1 – اسمنت غنيم : الدولة الأيوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، جامعة الاسكندرية ، 1990م ، ص139.

2 – الحاج عيفة: الهجرة المغاربية الى بلاد الشام ما بين القرنين السادس والسابع الهجريين، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، تصدر عن القسم التاريخ، جامعة الجزائر أبو قاسم سعد الله، الجزائر، 2015م ، ص102.

3– أحمد مختار العابدي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ب.ط ، دار النهضة العربية والتوزيع ، بيروت ، 1995 ،ص. ص ، 94– 95.

4 – نفسه، ص. ص ، 94–95.

كما سعى سلاطين بني أيوب ممن حكموا دمشق إلى العناية بالعلماء وتعظيمهم وتقريبهم وتشجيعهم على البحث والتأليف حتى وفد عليهم العلماء من بلدان العالم الإسلامي عندما ترامى إلى مسامعهم ذلك التكريم[1].

وقد كان الأيوبيون يولون رعاية للوافدين لا سيما لطلبة العلم ورواد الحج منهم خصوصا، وذلك بتوفير كافة مستلزمات الراحة لهم كالمساكن والخانات التي يأوون إليها، والحمامات التي يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، وكل الأطباء يتفقدون أحوالهم[2].

وقد هيّأ والى الشام الأجواء الملائمة لطلب وتحصيل العلم، فأجروا على المعلمين الرواتب الواسعة، وقدموا للطلاب ما يلزمهم من الأموال و الأطعمة والأكسية [3].

كما حث ابن جبير الناشئة من أهل المغرب إلى القدوم إلى بلاد الشام طلبا للعلم "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر العوام وأهمها، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ومن لا عذر للمقصِّر إلا من يدين بالعجز والتسويق، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب إليه وإنما المخاطب كل ذي همة يحول الطلب المعيشة بينه وبين مقصده، في وطنه من وإنما المخاطب كل ذي همة يحول الطلب المعيشة بينه وبين مقصده، في وطنه من طلب، لعلمي فهذا المشرف بابه مفتوح لذلك فأدخل أيها المجتهد بسلام"[4].

---

1 – ناصر محمد على الحازمي: الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي: (569هـ-659هـ/1173م-1260م)، رسالة لنيل درجة الماجستير، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ص 130.

2 – شوكت عارف محمد الأطروشي ودرويش يوسف حسن: مساهمة المغاربة والأندلوسيين في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيوبي (567هـ / 648 هـ /1171م /1250م)، مجلة آفاق فكرية ، العدد الثالث ، أكتوبر 2015، ص27.

3 – أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص، ص 94،95.

4 – أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير: دار الصادر ، بيروت، لبنان، ص 200.

4-ازدهار الحياة العلمية بالمشرق.

بعدها أحكم صلاح الدين قبضته على الشام بسّط نفوذه في المشرق فالشام منذ بداية القرن (6هـ/12م) عرفت نهضة علمية وفكرية نتيجة اهتمام سلاطين الدولة الأيوبية بالحياة الثقافية الذين عمدوا إلى إقامة المرافق التعليمية كبناء المدارس ودور القرآن والحديث والمساجد والزوايا والخوانق، والاهتمام بهذا الجانب كان عاملا هاما لجلب المغاربة والأندلسيين من أهل العلم والمعرفة سواء كانوا طلاب العلم أو علماء من الفقهاء والمتصوفة[1].

كما اتسمت غزة منذ وقت مبكر بظاهرتي الرباط والزهاد والغزاة، باعتبارها واحد من المدن الشام الساحلية الثغرية، مما جعلها مقصدا لجماعة من الصحابة والتابعيين والزهاد والمرابطين والعلماء والفقهاء، قد كانت مما أسهمت بدورها في ازدهار الجانب الفكري والثقافي[2]، كما يرجع الفضل في نمو وازدهار القاهرة إلى صلاح الدين الأيوبي الذي بسط نفوذه على مصر سنة 567 هـ/1171م وأعاد الخطبة للخليفة العباسي في مساجد القاهرة وانتهت الخلافة الفاطمية، كما أمر بهاء الدين الأسدي ببناء سور العمائر والدور الضخمة والجوامع والمدارس حتى نمت القاهرة، واتصلت بالفسطاط التي تحولت إلى جزء من العاصمة[3].

وكانت عمارة المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في القاهرة فتحا جديدا في عالم البناء، لذلك عني عناية خاصة ببناء المدارس والمساجد والزوايا، بهدف تعليم

1 – الحاج عيفة: المرجع السابق، ص 103.

2 – خالد حسين محمود: معطيات عن العلوم الشرعية بدينة غزة منذ بداية العصر الطولوني الى نهاية العصر الأيوبي (224 هـ، 658هـ / 878م 1960م) مجلة العصور الجديدة العدد 14-15 ،مختبر البحث التاريخي ن جامعة وهران، الجزائر ، 2014 م، ص .ص 48-85.

3 – عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي ط، 1، دار الفكر ، لبنان 1999م ،ص208.

العقائد المذهب السني[1]، وبلغ عدد المدارس في القاهرة ثلاثة عشر مدرسة سنة600هـ /1203م وتمسكت الإسكندرية بالمذهب الحنفي، ويعتبر صلاح الدين أول من أقام الخانقاوات في مصر ليسكنها الغرباء والمتصوفة، وبذلك انتشرت الصوفية في القاهرة وكثرت الخانقات التي يأوي إليها، وقد شهدت نشاطا دينيا منقطع النظير والذي عن طريق تدريس العلوم الدينية[2].

وقد أدرك سلاطين الدولة الأيوبية، دور العلم والعلماء في النهضة فأخذ العلماء مكانتهم المرموقة في دولتهم ونشطت في أيامهم الحركة العلمية في الشام ومصر ، كما شغل العلماء مناصب مهمة مثل القضاء والوزراء[3].

وكانت العلوم والآداب تحتل مكانا ممتازا في هذه الثقافة السائدة وأن العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس كانت علوم السنة وهي الحديث والتفسير والفقه والقراءات ثم علوم الآداب النحو والبلاغة، بالإضافة إلى علم التاريخ، أما العلوم النقلية البحثة فكانت مما يشتغل به الرجال في منازلهم الخاصة[4].

1 – قصي حسين: موسوعة الحضارة العربية ، العصر الفاطمي والأيوبي ،ط1 ، دار الهلال للطباعة والنشر، بيروت ،2005 م، ج6،372.

2 – سعدي عبد الفتاح عاشور : العصر المملوكي في مصر والشام ،ط2 ن دار النهضة العربية ، القاهرة ،1976م ص350.

3 – ناصر محمد علي الحازمي: المرجع السابق، ص ص ص 129–130–166.

4 – عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي، تقديم جيلالي حمزة ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ، مصر ،2016، م ، ص 173.

وبذلك كانت بلاد المشرق عموما ومصر والشام والحجاز على وجه الخصوص مفتوحة لكل قاصدا يريد التجوال فيها، أو شد الرحال إليها طلبا للعلم، أو حاجا، أو تاجرا أو سائحا، وكثر عدد المرتحلين من المغرب إلى المشرق باختلاف أهدافهم[1].

وقد حدث احتكاك بين رجال العلم في هذا القرن بشكل واسع، وكانت الدواعي متعددة فالذين كانوا يجمعون نصوص الشعر والنثر والروايات جالوا في الأقطار لجمع مادتهم وتقوية التفاعل بين أجزاء العالم الإسلامي، وأبعد الأشخاص أثرا في ميدان أولئك العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق[2].

5-دور المراكز العلمية بالمشرق

أ/ المساجد:

يحتل المسجد مكانة عظمى في نفوس المسلمين فهو أحد بناء المجتمع المسلم ، ومن ضروريات الحياة الإسلامية يقول الله تعالى((**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**))[3] إن هذه المساجد لعبت دورا مهما في خدمة الأهداف الدينية فقد أسهمت إسهاما لا ينكر فضله في بناء صرح الحياة الدينية والتعليمية في المشرق وتفرعت خدمتها وتنوعت وظائفها، ولم يقتصر ذلك على كونها

1 – عبد الرحمان الأعرج : علاقات دول المغرب الاسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 7-9 هـ /13-15م رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، منشورة ن جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2013م ، ص – ص 225-228.

2 – محمد جابر الأنصاري: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ،ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1992 م ، ص- ص 30-31.

3 – سورة البقرة : الآية 114.

مراكز تعبد وتهذيب[1]، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب بل أنها كانت معاهد للتعليم طلاب العلم حيث يتحلقون حول الشيخ الحلقة ، ويكتبون ما يلقونه أو يملونه ، وقد كان الشيخ يستند إلى اسطوانة في المسجد، ثم يأخذ في إلقاء محاضرته وكان لكل فرع من فروع المعرفة حلقة فحلقة لفقيه وحلقة لمحدث وحلقة لمفسر وحلقة للغوي وأخرى لنحوي والثالثة لمتكلم وكانت حلقة الفقهاء أكثر ازدحاما، وكان يقصدها الطلاب الذين يريدون إن يتولوا مناصب في القضاء أو الحسبة[2].

حيث كان المسجد الحرام من أعظم المراكز العلمية بالحجاز على الإطلاق فهو مقر للتدريس وجامعة مفتوحة لطلبة العلم لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، ففيه تعقد حلقات العلم حيث يتصدر الشيخ الحلقة وحوله التلاميذ من مختلف الجنسيات إلى جانب تنوع العلوم الملقاة فيها ويظهر من خلال تراجم مختلف العلماء لدى الرحالة المغاربة[3]، وقد شارك المغاربة في التدريس في حلقات العلم داخل الحرم النبوي الشريف فكانت لهم حلقات باهرة في شتى العلوم والفنون وخاصة الفقه المالكي والقراءات والتفسير والحديث، والعلوم العربية وغير ذلك[4].

وفي القاهرة كان جامع عمر ابن العاص ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة واليه يلجأ الناس للاستفتاء ويفد الطلاب لتلقي العلوم التي كانت تدرس في ذلك الحين ومنه تخرج خيرة العلماء والفقهاء[5].

---

1 – حياة ناصر الحجي: صور من الحضارة العربية في سلطنة المماليك ، دار العلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1995 ، ص 146.

2 –بشير رمضان التلسي وجمال الدين هاشم الذويب : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ط2 ، دار المدار الاسلامي بيروت ن لبنان ، 2004م ، ص 258.

3 –عواطف محمد يوسف نواب : المرجع السابق ، ص 172.

4 –محمد علي فهيم بيومي : المرجع السابق ، ص172.

5 –سيدة اسماعيل كاشف : مصر في فجر الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 م ، ص 328.

كما إن المسجد الأزهر بدأ كغيره من المساجد لإقامة الشعائر ولم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب مختلف العلوم والفنون كما بني بجواره دار لجماعة من الفقهاء كانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة جماعة علمية تدرس فيها العلوم بصفة عامة والعلوم الدينية بصفة خاصة بإضافة إلى إن الزهاد والمتصوفة كانوا يتخذون من المساجد مساكن[1].

وقد كان كفيل بجلب نسبة هائلة من علماء المغرب الأوسط نحو مصر باعتباره مركزا ثقافيا إسلاميا عريقا لعلماء المغرب الأوسط التقليديين التقليديين الذين أتيحت لهم فرصة الجامع الأزهر تعلموا و تثقفوا فيه [2] وكذلك كان الحال بالنسبة للجامع الطولوني الذي شيده أحمد بن طولون سنة (265 هـ / 879م)[3] حيث كان المغاربة يقصدون جامع ابن طولون وبخارجه زيادة كثيرة فكان المغاربة ينزلون فيها أيام الإقامة وكان ذلك رفق بالضعيف الذي لا يقدر على كراء المنازل ، ضف إلى ذلك إن هناك مساجد أطلق عليها بمسجد المغاربة[4] ولم يقتصر الأمر على مساجد مصر بل كانت الدروس تلقى في غيرها من مساجد العالم الإسلامي فهناك العديد من الحلقات والمجالس التي كان الفقهاء وقراء القرآن والأدباء يعقدونها في مساجد القدس وبلاد الشام وكانت هذه الحلقات تضيق أو تتسع تبعا لعدد الطلاب [5] فلا تخفى علينا مكانة المسجد الأقصى في الإسلام، فهو

1- قصي الحسين : المرجع السابق ، ص 383.

2 -عمار هلال : العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين ميلاديين(13-14هجري)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، المرجع السابق ، ص161.

3 -أحمد عبد الرزاق احمد : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية ،ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1995 ، ص23.

4 -يونان لبيب ومحمد مزين : تاريخ العلاقات المغربية المصرية ، الدار البيضاء للنشر ، المغرب ، 1982 م ، ص39.

5 -أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص22.

مسرى النبي عليه الصلاة والسلام [1] ذلك أن المسجد الأقصى بالذات كان إلى جانب نشاطه الديني مركزا ثقافيا وعلمياّ،تشدّ إليه الرحال من البلدان الإسلامية المختلفة فأقبل إليه كثير من العلماء وطلاب العلم للمجاورة والتعلم مثال ذلك الشيخ أبو يعقوب المغربي الذي وفد بلاد المغرب وأقام بالقدس وجاور بالمسجد الأقصى (ت عام 698 هـ/1298م) والشيخ الإمام العالم صالح المقرئ عبد الله بن إبراهيم المغربي المالكي أقبل من المغرب إلى القدس وجاوره[2].

أما مساجد دمشق فقد وصفها ابن جبير " أنها مراكز علمية عظيمة فوصف حلقات العلم والقراءات في الجامع " ومن مفاخر هذا الجامع أنه لا تخلو القراءة منه صباحا، ولا لمساءا، وفيه حلقات التدريس للطلبة وللمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكية، زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة ، ولهم أجراء معلوم ... عند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحا يستند كل إنسان منهم إلى سارية ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن وللصبيان على قراءتهم جراية معلومة".

مما يبين لنا بعض النشاط العلمي الذي ازدهرت به دمشق أيام صلاح الدين وكان العلم بمتناول الجميع، وما زاد من إعجاب ابن جبير هو حب أهل دمشق للمغاربة والميزات التي منحت لهم[3].

أما المساجد في بغداد، فأشهرها الجامع الرسمي للخلافة العباسية أطلق عليه جامع الخليفة، أما الجامعات الآخران فهما جامع المنصور وجامع الرصافة، وكانت المساجد

1 –علي نصر منصور شهاب: المرجع السابق، ص 26.

2 –نفسه، ص 26.

3– ابن جبير: المصدر السابق، ص 190.

تقام فيها صلاة الجنازة على الأعيان والعلماء، وتعقد فيه حلقات الفقهاء، والمناظرين والمحدثين، إضافة إلى إقامة صلاة الجمعة [1].

وهكذا فان حلقات العلم ومجالسه ظلت مزدهرة في أغلب مساجد العالم الإسلامي قرونا طويلة منذ القرن الأول للهجرة بل، مازال بعضها مستمرا مكتظا بطلاب العلم حتى يومنا هذا.

ب- الرباط:

هي بيوتا صغيرة للعبادة تبنى خارج المدن، وأول ما اتجهت إليه عناية المسلمين، فأقاموها وأطلقوا عليها هذا الاسم، والرباط في الأصل اسم حربي للثغر الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو، ثم انتقل إلى دار يقيم فيها المتصوفة لمجاهدة النفس[2].

وكان للأربطة دورا كبيرا في خدمة أغراض التصوف والانقطاع للعبادة، من المعروف أن الرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم، حيث يتم الصرف عليهم من ربع أو قافه [3] وقد فتحت هذه الأخيرة أبوابها للعلماء وطلاب العلم الذين يتنقلون في أرجاء العالم الإسلامي، طلبا للحديث النبوي، وعلوم الدين والعربية، وهذا الأربطة ليست قاصرة على الرجال وحدهم، بل توجد هناك أربطة خاصة بالنساء يتعبدن فيها، ويتلقين فيها دروسا في الوعظ والدين[4]. وتناولت الربط الغرض الثقافي، حيث توفر هذه خزانات من الكتب الموقوفة لخدمة العلم وأهله[5]، مما أتاح لنزلائها فرصة المطالعة والدراسة ضمن جدران تلك

1- أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 23.

2 -عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص 104.

3 -حياة ناصر الحجي: المربع السابق، ص 164.

4 -طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة الإجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد للنشر، الرياض، 1996، ص65.

5 -محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص 52.

الأربطة حيث أن نزلاء الأربطة كانوا يتدارسون العلم، ويتداركونه وينتهزون فرصة اجتماعهم لتبادل المعلومات، والإجازات، مما جعل للأربطة دورا غير منكور في الحركة العلمية، والتعليمية، فضلا عن ذلك فإنها كانت مخصصة لسكن طلبة بعض المدارس[1]، وقد فتحت أبوابها للعلماء والرحالة والمتصوفة القادمين إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي[2].

ج-الزوايا:

تعتبر الزاوية من معاهد العلم، وهي مأخوذة من فعل أنزوي، ينزوي بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد [3] وهي ركن الدار، ثم أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي لا تتسع لأكثر من شخص في الغالب أو أشخاص قليلين في النادر ينقطعون فيها [4] وقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء، فأنشئوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد[5] وتحتوي الزواية على جامع ومكتبة وغرق لمبيت الطلبة، وبها تعلم الطريقة الصوفية [6] حيث أنها كانت مركزا للتصوف، وسماع القرآن الكريم و الحديث، وذلك لمن يرغب في الانقطاع عن المجتمع، والانصراف كليا للعبادة والزهد [7] حيث يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وما يتصل به من العلوم النقلية والعقلية وكما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر [8].

1 -طرفة عبد العزيز العبيكان: المرجع السابق، ص66.
2 -علي منصور شهاب: المرجع السابق، ص 30.
3 -حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 401.
4 -عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص105.
5 -حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 401.
6 -محمد طمار: المرجع السابق، ص 63.
7 -حياة ناصر الحجي: المربع السابق، ص 63
8 -حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 401.

وقد كان في الإسكندرية زاوية والتي تعرف بزاوية أبي صالح محمد ينزلها طلبة المغاربة ولهم فيها أوقاف [1] كما ظهرت الزوايا أيضا في القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي بشكل واضح مثل الزاوية الخنثية التي تسمى الختنية، وهي تقع بجوار المسجد الأقصى خلف المنبر، حيث أوقفها صلاح الدين عام (587هـ/1911م) واستمرت هذه الزاوية تؤدي عملها التعليمي والعلمي حتى (ق 9هـ/15 م) بإضافة إلى الزاوية التي عرفت بالغزالية نسبة إلى حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي، وأنشأها الملك المعظم الأيوبي سنة 610هـ/1212م)[2] وكان للزوايا أثر ايجابي في ازدهار الرحلة، حيث أنها كانت تقدم للرحالة والحجاج الطعام واللباس، وبذلك انتشرت الزوايا في معظم البقاع العالم الإسلامي، مما هيأ للرحالة الكثير من متطلباته، وهو في الطريق شرقا وغربا، فكانت للزوايا دور ضيافة للجميع[3].

د- **المدارس:**

لعبت المدارس دورا هاما في النهضة الثقافية والعلمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد أجمعت الدراسات التاريخية على أن الازدهار الحقيقي لإنشاء المدارس لم يتم إلا على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (456هـ-485هـ/1064م-1092م) الذي أنشأ مدارس عديدة في كل من بغداد والبصرة والموصل، وقد أوقف عليها الضياع والخانات والحمامات [4] حيث تعد النظامية من أشهر مدارس بغداد، وأجلها شأنا، وقد

1- بونان لبيب ومحمد مزين: المرجع السابق، ص 40.

2 -علي منصور نصر شهاب: المرجع السابق، ص 31.

3 -علي ابراهيم كردي: المرجع السابق، ص 17.

4 -أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 29.

كانت المدرسة النظامية جامعة، وكان فيها غرف لإقامة الطلاب والجراية عليهم وكانت تمثل عهدا في نشوء المدارس الإسلامية الأخرى في المشرق[1] .

ويرجع تاريخ إنشاء المدارس في مصر والشام والحجاز إلى أواخر العهد الفاطمي، ثم توسع صلاح الدين في ذلك[2].

حيث عني عناية خاصة ببناء المدارس، ومن بين المدارس الأيوبيين في مصر، نذكر منها المدرسة الناصرية والقمحية والسيفية، والمدرسة الفاضلية التي أسسها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني (580هـ) والذي اتخذه صلاح وزيرا له، وكان بهذه المدرسة مكتبة تشمل على مئة ألف مجلد [3] أما بلاد الشام فقد تكاثرت فيها المدارس في القرن السادس الهجري تكاثرا ملحوظا، ويتفاوت عددها بحسب عظم المدينة، وأهميتها، فقد كان في حلب نحو ست مدارس، وفي حماة ثلاث مدارس، وفي دمشق نحو عشرين مدرسة، بإضافة إلى دار الحديث، وقد هيأ ولي الأمر آنذاك الأجواء الملائمة للطلب والتحصيل، فأجروا على المعلمين الرواتب الواسعة، وقدموا للطلاب ما يلزمهم من الأموال والأطعمة والأكسية[4].

أما الحجاز فقدت كثرت فيها المدارس حيث نجد أن مكة قد أخذت على عاتقها مهمة التدريس ونشر العلم والمعرفة بين المسلمين،وتسابق الحكام والأمراء إلى تأسيسها حتى كثر عددها وقد كان هؤلاء المؤسسون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ،ومن بين

1 –محمد عبد العظيم أبو النصر: الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط1 دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 19191م، ص 29.

2 –حياة ناصر الحجي: المرجع السابق، ص 147.

3 – حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط 14، دار الجيل بيروت باشتراك مع مكتبة النهضة، المصرية، 1996م ج4، ص 403.

4– شفيق محمد عبد الرحمان الرقب: المرجع السابق، ص 34.

أشهر المدارس التي وجدت في مكة، هي مدرسة الزنجيلي، ومدرسة طلب الزمان، ومدرسة النهاوندي ومدرسة أبي زكرياء[1].

وقد كان هدف هذه المدارس هو تعليم الناس المذهب السني، ومحاربة العقائد الفاطمية وخدمة الدين الإسلامي [2] حيث كانت هذه المدارس في العهد الأيوبي، تختص بتدريس العلوم النقلية، كالأدب، والتفسير،، والحديث، والفقه، وعلم الكلام واللغة والنحو والصرف، والبلاغة، ضف إلى ذلك أنها كانت تعني بدراسة العلوم العقلية كالفلسفة، وعلم النجوم، والمنطق، والفلك، والرياضيات، وكانت بعض العلوم العقلية كالفلسفة، وعلم النجوم، والتاريخ الطبيعي، والرياضيات تدرس لبعض الطلاب على أيدي أساتذة أخصائيين في منازلهم[3].

كما اهتم خلفاء صلاح الدين من بعده ببناء المدارس حتى بلغ عدد المدارس التي شيدت في العصر الأيوبي ستة وعشرون مدرسة. هكذا أصبح المشرق العربي مركزا حضاريا لنشر العلم والتعليم[4].

6- دور أداء فريضة الحج:

5-وذلك استجابة لقوله تعالى:((وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق))[5].

يعد الحج من الأركان الإسلام، وكان المسلمون يحرصون كل الحرص على أداء مناسكه ، وذلك رغم مشاقه ومصاعبه، وبعد المسافة للوصول إلى البقاع المقدسة وكان

1 – طرفة عبد العزيز العبيكان: المرجع السابق، ص 66.
2 – عصام شبارو: المرجع السابق، ص 82.
3 – قصي الحسين: المرجع السابق، ص 373.
4 – نفسه، ص 373.
5 –سورة الحج : الآية 27.

الحجاج من عدة فئات من المجتمع ممن لهم القدرة على إقامة ركن الحج وخاصة من الطلبة والعلماء والذين كان هدفهم من رحلة الحج أبعد من الحج نفسه.[1]

إن فريضة الحج تحتم عن المسلمين زيارة هذه الأماكن لم استطاع إليها سبيلا فكان العلماء الراحلون من الغرب الإسلامي عامة يتوافدون على مكة المكرمة[2].

وكانت الرحلة إلى الحج عند العلماء بصورة خاصة، فرصة للاتصال بنظرائهم يتوجهون إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن التقاء العلماء من جميع بلاد الإسلام يتيح الفرصة للتشاور والتناظر ، وخاصة في أمور الدين[3]. وحضور مجالسهم ويأخذون الانجازات ولا تكاد رحلة مغربية تخلو من ذكر صاحبها أنه التقى العالم الفلاني وأنه حضر مجلس الفقيه الفلاني ، مع ترجمة للعلماء والتعريف بهم[4].

7-التواصل التجاري:

أصبحت بلاد الشام حلقة الوصل وملتقى القوافل التجارية القادمة من المشرق من ناحية، ومن آسيا الصغرى والشمال من ناحية ثانية ومن شبه الجزيرة العربية من ناحية ثالثة، ثم من مصر من ناحية رابعة وإذا كانت الحروب الصليبية، قد عرقلت أحيانا مسيرة القوافل التجارة من الشام واليه، إلا أنها ضاعفت النشاط التجاري من الشام واليه[5].

---

1 -زكي لامعة: الرحلة العلمية و دورها في إثراء المجال العلمي ، مجلة كمال التاريخي ، العدد 22 ، دار الناشري للأرشيف العالمي ، 2013م، ص 158.

2 -عبد الواحد ذانون طه: أبحاث في تاريخ المغرب والاندلس وصور من التواصل الحضاري ،ط1 ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2014م، ص334.

3 - بشير رمضان التليسي : الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرنين الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ط1 ، دار المدار الاسلامي ،لبنان ،2003 ،ص195.

4 - محمد أفرساخ ونادية صلاح محمد صديق : رحلات المغاربة الى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل ، دبي ، د.ت ن ص12.

5 - عصام شبارو: المرجع السابق، ص201.

كما أن ازدهار الصناعة في المغرب الأوسط ساهم في تفعيل التجارة في المنطقة بإضافة، أنه كان همزة وصل بين المشرق والمغرب وحتى الأندلس، وبلاد السودان[1].

وقد شهدت العلاقة التجارية بين المغرب والمشرق الإسلاميين في عهد الخلافة الموحدية ازدهارا واضح المعالم، لم تعرفه البلاد منذ القديم [2].

ويورد لنا التاريخ أمثلة كثيرة تعبر عن هذا التلاحم بين شعوب المغرب والمشرق، فقد مثلت الجالية المغربية في بلاد المشرقية نسبة كبيرة في مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والعلمية [3].

إن الرحلة لم تقتصر على أداء الشعائر الدينية فقط، فقد جمعت بين الدين والعلم والتجارة، ولقد كان لرحلة الحج أثر كبير في تنشيط الحركة التجارية بين بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين واستغل الحجاج المغاربة هذه المرحلة في ممارسة أنواع وضروب مختلفة من الأنشطة التجارية ومبادلات السلع المهمة والنفيسة [4].

حيث كان للتجار والعلماء المغاربة علاقة قوية بالمصريين فالتجار المغاربة في مصر، يقومون بعقدة الصفقات التجارية مع المصريين وساعدهم على ذلك الركب

1 – فتيحة بوسماحة، مريم تركي: المغرب الأوسط على مسالك التجارة في العصر الاسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورة، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدينة، 2015م، ص 52.

2 – ابتسام مرعى خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 564هـ،936هـ/1130م،1569م، دار المعارف مصر، 1985م، ص 367.

3 – بغداد غربي: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، (رسالة لنيل شهادة دكتوراه)، منشورة، جامعة وهران 1، 2015م، ص 240.

4 – نفسه، ص 242.

المغربي الذي كان يمر في كل عام بصورة دائمة، إذ ينتظرون في القاهرة للخروج مع قافلة الحجاج المصرية تحت حراسة أمير الحاج [1].

وفي مقابل ذلك كان المغاربة يستوردون مختلف التحف والطرائف التي ظهرت في المشرق لتزيين قصورهم، وتشبهها بقصور الشرق، بإضافة إلى السلع أخرى تم استيرادها مثل ماء الورد، ومما استورده التجار من بغداد هو خشب الساج والرخام يبدوا أنه كان من النوع الرفيع[2].

وقد أكد هذا صاحب كتاب الاستبصار " على هذا الاتصال فذكر أن السفن ترسو في ميناء بجاية قادمة من الإسكندرية بطرق بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها [3] وفي بلاد الشام مثلا نجد المغاربة قد نقلوا صناعات جديدة إلى بلاد الشام لم تكن معروفة من قبل من صناعة الحرير والصبغة وتلوينه الأمر الذي ساعد على انتشار هذه الصناعة في أغلب بلاد الشام [4] كما جرى تأسيس مدن جديدة لأغراض تجارية كعواصم للدول مستحدثة مراكز تجارية صحراوية، ومن أشهرها فناخسروا والقاهرة والمهدية وأشير ووهران، وأصيلا والزهراء، وفي الواحات الصحراء الكبرى انتعشت مدن صحراوية مثل زويلة وودان وسجلماسة وتارودنت [5].

1 – محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة ابان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي، ط1، دار القاهرة، القاهرة، 2006م، ص 133.

2 – جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرباع الهجريين (9–10م) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د.ت، ص232.

3 – مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مشروع مشترك، الكويت، 1985م، ص130.

4 – بغداد الغربي: المرجع السابق، ص 240.

5 – محمود اسماعيل: سيولوجيا الفكر الاسلامي، ط1، سينا للنشر، الكويت 2000م، ج2، ص 171.

وقد حاولت الدولة الموحدية من ثغورها المغربية القيام بدور رئيسي لحماية طرق التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط الغربي ورائدها في ذلك كما كان رائد الموحدين في هذه العلاقات التجارية مما سبق من المعاملات انتظمت في الموانئ المشرقية [1].

وقد كان لركب الحاج المغربي طريق إلى الحجاز مشهور ومنازل للوقوف وتجديد الزاد وللمتاجرة وغير ذلك، وقد كان العلماء، والأدباء منهم يقومون بعد قضاء الحوائج الضرورية لمعاشهم يسارعون إلى لقاء الشيوخ من أهل العلم والأدب بقصد الأخذ عنهم والسماع منهم، ويحرصون كل الحرص على الحصول على مرويات النادرة[2].

وقد كانت رحلة العبدري لأداء فريضة الحج والعلم والتجارة ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة دلالة على انشغاله بالتجارة، وكان خروجه من مدينة حاحة، ولكنه لم يبدأ بتدوين رحلته إلا بتلمسان، وقد كان خروجه للرحلة في الخامس والعشرين من ذي القعدة 688هـ/1289م من مدينة حاحة[3].

8-طرق المواصلات

من المعروف أن هناك طريقان يصلان بلاد المشرق بالمغرب وهما الطريق البري الطريق البحري، وبخصوص الطريق الأول، كان الأكثر استعمالا منذ بداية العصر الوسيط، والأنشط على الإطلاق من حيث استقطاب المتجهين إلى المشرق.

فنجدهم يخرجون من مدينة طنجة، والتوجه نحو تلمسان، ثم نهر ملوية، ثم وهران ثم مليانة، وبعدها إلى مدينة الجزائر، ثم بجاية، قسنطينة، بونة، وصولا إلى تونس، ومنها

1 – ابتسام مرعى خلق الله: المرجع السابق، ص 277.

2 – عبد السلام بن مختار شقرون: المناظرات والارشادات في الرحلات المغاربية الحجازية، بحث مقدم، ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الاسلامية، جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، 466هـ، ص9.

3 –عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الفهد الوطنية، للنشر الرياض، 1996م، ص 118.

يتعين ركب للحجاز، والخروج من بلدة سوسة، وصولا إلى صفاقس، ثم طرابلس وبعدها الدخول إلى الإسكندرية*، ثم دمياط، ومنها إلى القاهرة[1].

كما يوجد طريق بري آخر يشبه الطريق الأول، ولكن يوجد هناك اختلاف في بعض المناطق المسلوكة.

حيث تبدأ الانطلاقة من حاحة** إلى أعالي بلاد السوس، ثم بلنسا، والتوجه نحو تلمسان، ومنها إلى ملیانة، وهي مدينة تشرف على وادي شلف وصولا إلى الجزائر بني مزغنة، ثم بجاية، ومنها إلى ميلة، ثم قسنطينة، ومن قسنطينة، التوجه نحو بونة، ثم باجة، وبعدها وصولا إلى تونس، ثم القيروان، ثم قرية زوارة، وزواغة، وبعدها قرية نزرور وصولا إلى طرابلس، ثم قابس، وبعدها المرور على بلاد مصراطة، ثم سرت، ثم برقة وهي مدينة من بناء الروم، ثم إلى العقبة الكبيرة البطان، ثم العقبة الصغيرة، وصولا إلى مصر، ومنها يصحب الركب الرسمي برا على عقبة ودخول الحجاز [2].

وهناك طريق آخر يقطعه الحجاج انطلاقا من سجلماسة في خط السير نحو إقليم التوات، مرورا بوادي، الأساور، ومنها إلى أوكرت ومنها إلى ثم تكرت الثانية، وهي قاعدة

---

1 –أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ص،ص،ص، 40،36،35،34،33،32،31.

***الإسكندرية** : مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الاسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهي على ساحل بحر الملح، والإسكندرية من عمالة مصر، قاعدة من قواعدها وأرض مصر تتصل حدودها من جهة الجنوب ببلاد نوبة، وجهة الشمال بالبحر الشامي، ومن جهة الشام بفحص التيه، ومن جهة الشرق ببحر قلزم ومن جهة الغرب ببلاد الواحات، الحميري: المصدر السابق، ص، ص،55،54.

** **حاحة:** تنتهي حاحا التي هي أحد أقاليم مملكة مراكش إلى البحر المحيط في جهتي الغرب والشمال والى الأطلس في الجنوب، وتقف في الشرق عند نهر أسيف نوال الذي ينبع من هذا الجبل (الأطلس) ويصيب في نهر تنسيف ، وهو الحد الفاصل بين حاحا والأقاليم المجاورة له:انظر،حسن الوزان ،مصدر سابق،ص 95.

2 – محمد العبدري البلنسي: الرحلة العبدرية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007م ،ص،ص،149،138،156،136.

وادي ريغ، ومنها نحو وادي سوف، ثم التوجه نحو تفراوة بالمغرب الأدنى، ثم زواغة* *وهي ملتقى ركب الحجاج المغربي من أهل مراكش، وبعدها الوصول إلى طرابلس،وبعدها الدخول إلى برقة وصولا إلى سرت، ثم أنبابة أرض مصر، ثم الخروج من أرض مصر والتوجه نحو الحجاز[1].

-الطريق البحري:

نظرا لصعوبة الرحلة البرية وخطورة مسالكها المؤدية إلى المشرق منذ منتصف القرن 5هـ/11م، لجأ المغاربة إلى ركوب البحر منذ مطلع القرن السادس الهجري الذي أكد نجاحه منذ بداية القرن الرابع والخامس مع الأندلسيين خاصة، ثم المغاربة منذ مطلع القرن السادس هجري إلى الإسكندرية وغيرها من الحواضر الشامية الأخرى، سلكوا فيها البحر المتوسط من مرسى إلى الآخر، حيث يبدأ الانطلاق مرسى بجاية إلى المهدية، ثم قصر الروم وهو البحر الميت، ثم قابس، ثم جزائر الحمام، وبعدها إلى مرسى الزيتونة وصولا إلى الإسكندرية[2].

وهناك طريق آخر يصل بين سواحل الأندلس والإسكندرية مارا بسواحل الشام تبدأ الانطلاقة من قصر مصمودة، ومنه إلى تبسة، ومنه ركوب البحر، محاذاة لبر المدن الأندلسية، كدانية وجزيرة اليابسة، ثم جزيرة ميورقة، ثم جزيرة منورقة وسردانيا، ثم صقلية، ثم جزائر الحمام، ومنها إلى كريت، وصولا إلى الإسكندرية[3].

---

* زواغة: وهي مدينة تقع على مسافة 50 غربي طرابلس ويطلق عليها اليوم اسم صبراتة، وكانت هاتين البلدتين قديما هي ونواحيها مقر وموطن قبيلة زواغة وهي قبيلة بترية: البكري المصدر السابق، ص 86.

1 – عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، حققها وقدم لها سعيد الفاضلي سليمان القريشي، ط1، دار السويدي للنشر، أبوظبي، الإمارات العربية ، 2006م،ص،ص، 224،196،135،125،123،122،107،76،47،57.

2 – البكري: نفس المصدر ،ص،ص،175،174،172،

3 – ابن جبير: المصدر السابق،ص،ص،44،43،42،41.

ضِف إلى ذلك وجود طريق آخر قد سلكه المغاربة في رحلتهم إلى المشرق، حيث تبدأ الانطلاقة من مرسى وهران، ومنها الوجهة إلى تلمسان، ثم تونس، ثم جربه، وبعدها طرابلس، وصولا إلى الإسكندرية[1].

وبعدها البلوغ إلى بولق والدخول إلى القاهرة والنزول بجامع الأزهر للالتقاء بعلماء أهل المغرب، وذلك من أجل أخذ وتحصيل العلوم، ثم ركوب البحر مجددا والبلوغ إلى الينبوغ، والوصول إلى رابغ، ومنها الوصول إلى جدة [2].

9-صعاب الطريق:

لم يكن الطريق الذي كان يسلكه الطلاب المغاربة نحو بلاد المشرق سهلا، بل كان محفوف بالمخاطر منذ الانطلاق حتى الوصول، فقد كانت الطريق من مفازة ما بين فاس إلى تلمسان أول مخاطر الطريق التي واجهها، فهي بحسب قول العبدري" ولما انتهينا إلى مفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقا منقطعا مخوفا لا تسلكه جموع الوافرة إلا على حال جذر واستعداد وتلك مفازة مع قربها من أضرع بقاع الأرض على المسافر، لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله وأشدهم اذاية لا يسلم منها صالح ولا طالح"[3].

1 - أبي حسن علي القلصادي: رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص،ص،ص،123،112،111،95.

***جربة:** هي جزيرة في البحر افريقية أقرب بلادها إليها، قابس، يسكنها قوم من الخوارج، وغيرهم والنشر والنفاق موجودة في جبلتهم ولا يتكلمون باللغة العربية، وهو من أهل الفتنة والخروج عن الطاعة، وطول جربة ستون ميلا من المغرب إلى المشرق، ويتصل بها من بعض، نواحيها جزيرة زيزو، وهي صغيرة جدا، ذات نخل وكروم وبينها وبين البحر، نحو ميل، الحميري: المصدر السابق، ص 158:

2- القلصادي: المصدر السابق، ص130.

3- العبدري: المصدر السابق، ص25.

ندرة الطرق المبعدة التي تصل بين الجهات المختلفة، الموجودة منها يفتقر إلى علامات الدالة، وقد تهدمه الرياح، وتحمل عليه من الرمال ما يمحوه في الساعة[1].

ولم يكن الطريق من مصراته إلى سرت أقل خطورة إذ هي براري في الرداعة طبيعيا فهي سباخ، تدهش الناظر، وتذهل بفرط ما تهول الخواطر ومياه تخل الأجسام وتثير كامل الأسقام [2].

انعدام الخدمات تقريبا على هذه الطرق، فلا توجد حراسات ولا خزانات للمياه، أو محطات للراحة إلا فيما ندر إشارات الآبار [3].

ومن بين الصعوبات التي واجهت الرحالة المغاربة نحو المشرق، وهي سوء معاملة أهل زوارة القرية الصغرى، وتعرف أيضا بموطن بلد المرابطين وهي قرية ذات نخل كثير، يبيعون من يجتاز به للنصارى وهناك قصر بجوارها يعرف بقصر وزدز مشهور، يبيع البشر، وقد كانوا يخافون على سرقة الرجال أكثر من سرقة الرحال[4].

وقد واجه الرحالة مشاكل طبيعية مثل الأمطار وعصوف الرياح التي قد يهيج البحر بسببها، ويعيق المراكب البحرية ويؤخر السير[5].

وهناك حالة الرواج الاقتصادي الظاهر التي كانت تصاحب قدوم الوفود المغاربة، وقد امتدت هذه الحالة لتشمل وجوها شتى، في الجانب الاقتصادي، فقد كان هؤلاء

1- فؤاد القنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م، ص40.

2 - العبدري: المصدر السابق: ص،ص،133،132.

3 - فؤاد القنديل: المرجع السابق، ص 41.

4 - أبو عبد الله بن محمد ابن أحمد التجاني: رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب دار العربية للكتاب، تونس،1981م، ص،ص،210،207.

5 - ابن جبير: المصدر السابق، ص25.

ينتهزون الفرصة، ويرفعون أسعار كراء دورهم مما كان يوفر، مدخولا كبيرا لهم في هذه المناسبة[1].

حيث يصف العياشي صعوبة الحصول على الدور وارتفاع ثمنها فيقول: " دخلنا القاهرة ضحى ولم نجد دار للكراء بقرب الأزهر مع شدة رغبتنا في ذلك، فطرحنا أمتعتنا بوكالة بأي ببان الأزهر الغربي وجعلنا نطلب دار للسكن، فما وجدناها إلا أخر النهار بمحل يقال البرديكية وجدنا هناك دار واسعة فيها عدة مساكن، إلا أنها بعيدة عن الأزهر بنحو أربعمائة خطوة، واكتريناها بثلاثة وسبعين نصف ونقلنا إليها أمتعتنا"[2].

سيطرة المراكب النصرانية على موانئ البحر المتوسط وتعرض الكثير من المسلمين رجال ونساء للأسرى من طرف النصارى[3].

سوء معاملة رجال الديوان بالإسكندرية للحجاج قصد جمع الزكاة دون التحقق عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل، بل فتشوا، واستحلفوا الركاب واخذوا منهم ما أمكن ذلك[4].

10-محطات الرحلة العلمية

أ- مصر:

كانت القاهرة ممرا لا بد منه يمر به جميع الذين كانوا يقصدون المشرق من علماء الأندلس والمغربين وافريقية يبغون الحج أو طلب العلم، أو الثراء[5].

1 – بونان لبيب رزن ومحمد مزين: المرجع السابق، ص44.
2 – عبد الله ابن محمد العياشي: المصدر السابق، ص227.
3 – ابن جبير: المصدر السابق، ص 42.
4 – صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، ص 64.
5 – نفسه، ص68.

وترجع أهمية مصر كمحطة أساسية في تنقل المغاربة ذهابا إلى موقعها المتوسط بين بلاد المغرب والأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز [1].

وكانت الإسكندرية من أعظم الحواضر الإسلامية وأعرقها، بل هي من أعظم مدائن الدنيا، فقد كانت بينها وبين المغاربة صلات وطيدة على مر التاريخ إذ كثيرا ما كان الرحالون يؤمنونها، فيصفونها، ويستأنسون بأحوالها وطبيعة أهلها الذين كان لهم بعض التقاليد والعادات المعروفة عند المغاربة [2].

ازدهر النشاط العلمي في مصر ورعاية سلاطين الأيوبيين وحرصهم على إنشاء الكثير من المدارس، فضلا عن المؤسسات الأخرى التي قامت بوظيفة المدارس مثل المساجد وقد كانت عملية تغذية المكتبات بالكتب مستمرة [3].

وقد كان الرحالة المغاربة والأندلسيون ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجول بين المراكز العلمية، مثل الإسكندرية والقاهرة للقاء العلماء والأخذ عنهم وتسجيل أسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم وما أخذوا عنهم من كتب وإجازات مثل الرحالة ابن رشيد الذي زار الإسكندرية والقاهرة في طريقه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وتردد على مجالس العلمية لتلقي العلم إما قراءة أو سماعا[4].

1 – أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، ط1 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان: 2002م، ص، 183.

2 – أحمد حدادي: رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد ابن عمر، ط1، منشورات الآفاق والشؤون الاسلامية، المغرب، 2003م، ج1، ص35.

3 – سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق،ص،ص 345، 346.

4 – عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق، ص 72.

فقد كانت مصر معبر ومستقرا للعديد من الصوفية المغاربة ويبدوا أن الإسكندرية كانت نقطة استقرار الكثير منهم، ومن بينهم [1].

أبو الحسن علي بن خلف بن معروف الكومي التلمساني (ت 599هـ/1201م) أخذ عن علماء مكة وبغداد استقر بالإسكندرية مدرسا للأصليين والحديث حيث انتفع به كثيرا من الناس، وأبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني (ت 622هـ/1225م) أصله من بونة هاجر إلى المشرق وأستقر في القاهرة وأظهر في بداية تجربته الصوفية جنوحه إلى وحدة الوجود [2].

وكان هؤلاء الرحالة يقصدون الإسكندرية لأنها كانت حافلة بالألوان المختلفة من الدين والأدب والعلم وصفوف المعرفة وفنون السمر، ولهذا تعلموا فيها، وعرفوا ما لم يكونوا يعرفون من قبل من العلوم والفنون [3].

وتواصل العلماء المغاربة مع علماء المصريين في المدينة ذاتها، حيث أخذ غالب كبار العلماء المغاربة العلوم عن المصريين في المدينة والعكس [4].

ب- الحجاز:

لا يوجد في تاريخ الإنسانية بلد جغرافي حج إليه ملايين من كل جيل مثل الجزيرة العربية، ولا يوجد موطن استقطب خمس الإنسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها

1 – أبي عبد اللع محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص270.

3 – أحمد حدادي: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4 – محمد علي فهيم بيومي: المرجع السابق، ص 136.

الروحية مثل الحجاز، الموطن الروحي، ومنطلق الرسالة الموحدية، وشاء القدر أن تكون منارا للإنسانية جمعاء [1].

تحتل الرحلة الحجازية إلى الأماكن المقدسة المرتبة الأولى بين الرحل لأن هذه الأماكن تتمتع بمكانة عالية عند المسلمين في كل الأصقاع، فالحج من أهم البواعث للرحلة لما كان يتمتع به المجتمع المغربي المسلم تمسك بالقيم الروحية فكان أقصى أماني المسلم هو زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكثيرا ما كان الغرضان يمتزجان معا فتكون الرحلة جامعة الأمرين معا الحج وطلب العلم[2].

وقد كان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلا عن تأدية فريضة الحج فوائد جمة منها الالتقاء بمعظم العلماء والفقهاء الإسلامي ومنها المجاورة [3].

ولشدة التعلق بالحجاز خاصة، هو أن البعض من المغاربة كان يطيل مقامه هناك حتى يشبع رغبته، ويروي ظمأه، وقد كانت الرحلة تعني الطلب والدراسة، وصار من المألوف أن تتجه في أغلب إلى الشرق للتلمذة والأخذ عن علمائه، وبذلك كان لا بد أن تكون الحجاز منتهى سفر المغاربة[4].

ومن بين الذين انتقلوا إلى الحجاز نجد كل من، عمر بن عبد المحسن الوجهاني المتوفي نحو (691هـ/1293م) وهو الفقيه المالكي من بجاية رحل إلى الحجاز، وأدى فريضة الحج، والبجائي على أبي نضر أبو الحسن (ت 652هـ/1254م) أصله من بجاية، وهو فقيه مالكي رحل إلى المشرق العربي فأخذ من علماء مكة ودمشق والقدس،

1 – عبد العزيز بنعيد الله: الرحلات من المغرب واليه عبر التاريخ، ط1، دار المعرفة للنشر، الرباط، المغرب، 2001م، ص54.

2 –ابراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م،ص 12.

3 –أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، السعودية، د،ت، ص12.

4 –محمد أفرخاس ونادية صلاح محمد صديق، المرجع السابق، ص20.

وكان كثير التردد على الحجاز، وأبو عبد الحق بن سليمان التلمساني الذي تولى القضاء بتلمسان، وكان من الزاهدين، فحج وجاور المدينة (ت581هـ/1285م)[1].

ونشطت الحركة الفكرية في الحجاز في وقت مبكر جدا، وقد تناولت جوانب متعددة منها البحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتراجم، والنسب، والتاريخ، والشعر ، والفقه[2].

وقد شارك المغاربة في التدريس في حلقات العلم داخل الحرم النبوي الشريف، فكانت لهم حلقات باهرة في شتى العلوم والفنون، وخاصة في الفقه المالكي، والقراءات والتفسير، والحديث، والعلوم العربية وغير ذلك[3].

ت-الشام:

وإذا انتقلنا إلى الشام فإننا نلقى فيها ما يبهر العيون وسحر اللب بما اشتملت عليه جل مدنه من الآثار الباقية، وتعد دمشق من أعظم المراكز الثقافية ففيها العلوم المنتشرة، وكذلك بيت حرم الخليل[4]، حيث أن معظم المرافق العلمية كانت بمدينة دمشق: ففي حكم الدولة الأيوبية كان بدمشق مائتان واثنان وأربعون مسجدا، وقد كان أهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد، والمدارس، ومن أراد طلب العلم، والتفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة

1 -عمار هلال: المرجع السابق،ص،ص،173،169.

2 -صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الاسلام، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1990م، ص 23.

3 - محمد علي فهيم بيومي: المرجع السابق، ص 172.

4 - أحمد حدادي: المرجع السابق، ص35.

على ذلك [1] كما أنشأ صلاح الدين والخلفاء الذين حكموا من بعده عددا كبيرا من المدارس، وشادوا المساجد[2].

وبذلك ظهرت الحركة العلمية فيها من علوم الدينية من تفسير وحديث وفقه، وقراءات، وكان رجالها أنشط العلماء وأميلهم إلى الرحلة للإفادة والاستفادة نظرا للوازع الديني القوي عندهم فكان يتردد على الشام الكثير من العلماء الدينيين، فينشرون علمهم، ويأخذون ما ليس عنده[3].

وكانت هناك حركة ذات أثر كبير في الفترة التي تتحدث عنها وهي التصوف، وقد كان في أصله تعبيرا عن الرغبة في إيجاد الصلة بين الخالق والمخلوق بواسطة التقوى والتقشف إلا أنه تطور تدريجيا إلى حركة كان لها أثر بعيد في الفكر الدين في الإسلام، وقد كان آخر ما أصاب التصوف من تطور هو قيام الطرق التي كان من أكثرها أصالة القادرية أنشأها في بغداد عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1166م) وبذلك كانت دمشق تعج بالعلماء[4].

كما شهدت القدس ازدهارا في الحياة العلمية وهذا يرجع إلى اهتمام سلاطين الأيوبيين بالقدس وإلى وضع هذه المدينة الديني والسياسي فهي أول القبلتين ومسجدها ثالث المساجد التي يشدها إليها الرحال، واليها كان مسرى النبي صلى الله عليه وسلم[5] حيث يقول أبي عبد الله محمد ابن محمد المقري " سمعت شيخنا بالقدس يقول تجلى الله

1 – الحاج عيفة: المرجع السابق، ص102.

2 – نقولا زيادة: دمشق في عصر المماليك، نشر باشتراك مع مؤسسة فرانك للطباعة والنشر، بيروت، نيورك، 1966م، ص،ص، 176،177.

3 – أحمد أمين: المرجع السابق،ص،ص139،149.

4 – تفولا زيادة: المرجع السابق، ص177.

5 – علي منصور شهاب: الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 22 مجلس النشر العلمي، جامعة كويت، 2001،ص،ص،5،6.

بالمسجد الأقصى بالجمال وعلى المسجد الحرام بالجلال، وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال فقلت فذلك يوقف النواظر، وذلك يملأ الخواطر، وهذا يفتح البصائر"[1].

كل هذه العوامل الدينية جعلت من دمشق* مركز علميا للشرق العربي كله فقد بعث فيها نور الدين الزنكي السنة، وقضى على المذهب الشيعي وأستحضر العلماء، وبذلك ازدحم بها العلماء وقصدوها من كل صوب، ثم قويت هذه النهضة أيام صلاح الدين وأخلافه من ملوك من الأيوبيين فتدفق إليها آلاف من المغاربة، وكانوا يدرسون بها[2] أما القدس فقد كان لها في نفوس المغاربة مكانة عظيمة ومقدسة وشدو الرحال إليها، وجالسوا علمائها وعلموا من شاء من طلابها[3]، ومن بين علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى الشام هو عبد الله بن محمد الأشيري الذي هاجر مع أهله إلى الشام في بداية النصف الثاني من القرن (6هـ-12م) حيث بادر السلطان نور الدين زنكي بمساعدته ليستقر في الشام، وبعد وفاته نزلت أسرته إلى المدينة حلب ومكثوا فيها[4].

وكذلك العالم الصوفي أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر البجائي (ت589هـ-1191م) هاجر من بجاية إلى دمشق، واستقر بتربة أم صالح في دمشق أكثر من اثنين وعشرين سنة والبوني إبراهيم يوسف (ت612هـ/1215م) من كبار عصره، محدث، رحل إلى المشرق وسكن بدمشق[5] والشاعر الأصولي الوهراني علي بن

---

1 - أبي عبد الله محمد المقري : الحقائق والرقائق، أعتنى به عمرو سيدت شوكت دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د،ت، ص158.

*دمشق: تسمى عند قدماء المصريين دمسكو وعند العبريين دمسك وعند فرنسا Damasca وعند الانجليز وغيرهم من أهم أمم أوربا Damascas وتسمى عند الترك أيضا شام شريف، وتعرف بالشام الكبير وتسمى عند العرب بجيرون(أنظر: أحمد زكي بك، قاموس الجغرافيا القديمة، ط1، 1899، ص 04).

2 - صلاح الدين المنجد: المرجع السابق،ص،31،22.

3 - الحاج عيفة: المرجع السابق، ص96.

4 - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص170.

5 - عمار هلال، المرجع السابق، ص170.

عبد الله رحل إلى الشام، وسكن في دمشق(ت615هـ 1219م) وهو شاعر من أهل وهران[1].

ج-العراق

لما أنشئت بغداد وأصبحت مقر الخلافة الإسلامية أقبل أهل الفضل إليها، وتوجه إليها العلماء من كل صوب، وجعلوها دار إقامتهم فأصبحت بذلك مباءة العلوم الإسلامية، ومجتمع الفنون الأدبية وملتقى العلوم الكونية من شرقية وغربية، فزخرت بالنور وازدهرت بالفضائل، وأنبعث فيها ثمار العقول، وصارت لحواضر المعمورة منارا ولأعاظم الفضلاء مزارا [2].

وقد كانت بغداد مركز نظام محكم للطرق الآتية من أقصى الشرق تعبر دجلة، فكانت بغداد* تمثل حلقة الوصل بين المشرق والمغرب يمر عليها المسافرون على اختلاف مقاصدهم، وخلال ذلك يجري بينهم التفاعل الحضاري بجوانبه المتعددة الاقتصادية والسياسية والدينية والعلمية[3].

1 – عمار هلال: المرجع السابق، ص 169.

2 – طه الراوي: بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012م، ص95.

3 – عمر سليم القادر النل: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ط1، دار المأمون للنشر، عمان، الأردن، 2009م، ص 26.

***بغداد:** أم الدنيا وسيدة البلاد أصل كلمة بغداد للأعاجم، والعرب يختلف في لفظها، تفسيرها، بستان رجل، فباغ: تعني بستان، وداد اسم رجل، وبع اسم الضم، فذكر أنه أهدي إلى كسرى خصي من الأصنام، المشرق بمعنى من عباد الأصنام فقال العبد" بغ دادي " أي الصنم أعطاني، وكان كسرى قد وهب لهذا العبد، هذا البستان، فقال بغداد فسميت به، وبغداد اسم فارسي معرب عن باغ دا ذوية، وقد سماها المنصور مدينة السلام: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 456..

وقد تميزت العراق بقوة الحركات العلمية فيها لم تزل الصدامة في العلم والأدب والفلسفة، وما يدل على ذلك هو ما جمعه الخطيب البغدادي من تراجم علماء بغداد على ثروة واسعة في العلم والعلماء من جميع الفروع كالتفسير والحديث والشعر والأدب[1].

والعراق كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك، وبخاصة بغداد والبصرة وبه مجوس كثيرة، وذمته نصارى ويهود وقد حصل به عدة من المذاهب، والغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة، وبه مالكية وأشعرية ومعتزلة ونجارية، وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فانه سنة... وبالبصرة مجالس وعوام السالمية، وهو قوم يدعون الكلام والزهد وسالم كان غلام سهل بن عبد الله التستري الصوفي، وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة... والقراءات السبعة مستعملة في العراق[2]. كل هذه العوامل وغيرها جعلت علماء المغرب الأوسط يتوجهون نحو العراق إما للدراسة أو للتدريس ومن هؤلاء العلماء نذكر، محمد بن محرز الوهراني توفي سنة (575هـ) ركن الدين وقيل جمال الدين، وهو أحد الفضلاء الظرفاء، كاتب بارع رحل إلى المشرق ثم انتقل إلى بغداد وبعدها زار مصر في أيام السلطان صلاح الدين ثم عاد إلى دمشق وتولى الخطابة بداريا، وهي قرية على باب دمشق [3].

عبد الله بن محمد الأشيري وهو عالم فقيه أديب حاذق محدث ولد وتعلم بمسقط رأسه آشير رحل إلى الشام وبعدها العراق، وقد استدعاه الوزير يحي بن هبيرة إلى بغداد لإقراء الحديث والتدريس علومه في بغداد وغيرها من بلدان المشرق العربي (561هـ/1165م) [4] كما أن أبا يعقوب يوسف السدراتي (ت 570هـ) دخل عواصم المشرق العلمية اللامعة، وتطلع على جميع ما كان متعارفا مشهورا في وقته من العلوم الإسلامية وواصل طريقه بعد الحج إلى بغداد وهي يومئذ كقرطبة في المغرب أو تفوقها ثقافة وحضارة وعمرانا[5].

1 – أحمد أمين: ظهر الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافة، القاهرة مصر،2013م، ص 184.

2 – نفسه، ص182.

3 – أبي القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة يبيسر فونتانة الشرقية في الجزائر، 1906م، ص487.

4 – عمار هلال: المرجع السابق، ص163.

5 – مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص145.

الفصل الثالث

أثر علماء المغرب الأوسط مشرقا ومغربا

تمهيد:

1- مشرقا

1-1-التدريس

1-2- الخطابة

1-3- القضاء.

1-4- التصوف

1-5-التأليف

2- مغرباً

2-1-التدريس.

2-2- الفقه

2-3-التصوف.

2-4- التأليف

2-5- العقيدة التومرتية

تمهيد:

لقد اعتمد المغرب الأوسط خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي في تكوين بنية الثقافية من معرفة وفنون وسلوكات وقيم وعادات على مساهمة علماء وطلبة وفقهاء وزهاد المغرب الأوسط الذين كانوا يقصدون حواضر المشرق، لأداء فريضة الحج ومن أجل طلب العلم والاستزادة منه، ولقاء كبار الشيوخ المشهورين، وذلك لأن الرحلة في طلب العلم كانت من المسائل المحمودة، فكانوا لا يكلون عن السعي في سبيل الدرس والتحصيل وتبادل الآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية، ويتمثل هذا الاتصال في تداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات متبادلا قيما بين الشيوخ أنفسهم، لما يجدونه من معارف وما يحصلونه من علوم، وهكذا أصبح الرحالة حاملي العلم علم ومعرفة وحلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي بين الشرق والغرب مما أتاح لأهل المغرب النهل من علوم المشرق على أيدي هؤلاء الرحالة، حيث نجد أن هناك علماء من المغرب الأوسط من فضل البقاء في حواضر المشرق وتصدروا مجالس العلم والتدريس فيها وتولي مناصب إدارية، وهناك من العلماء المغرب من فضل العودة إلى المغرب الأوسط، وقاموا بتدريس تلك العلوم لمواطنيهم إلى جانب ذكرهم للمدارس ومنشئيها والعلماء المتصدرين للتدريس فيها.

1 – مشرقا

1-1-التدريس:

هناك من علماء المغرب الأوسط قصدوا حواضر المشرق ودخلوها وانتفعوا من علومها، واحتكوا بعلمائها، وفضلوا البقاء في حواضر المشرق[1].

حيث حظي عدد كبير من علماء المغرب الأوسط الذين استقروا بالمشرق بالاحترام والتقدير الكبيرين على المستويين الشعبي والرسمي، وتصدروا مجالس العلم والتدريس بها، إذ أسندت إليهم أعلى مناصب الدينية والأدبية، بعد أن تحولوا من تلامذة متلقين إلى أساتذة مشاركين عن جدارة واستحقاق، وقد برزت مكانتهم أكثر وذلك من خلال المدارس التي ترأسوها أو درسوا بها كقراء ومحدثين وفقهاء في كل من مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق بقصدهم الطلاب من شتى الأقطار لأخذهم عنهم[2].

ولعل أبرز هؤلاء العلماء على الإطلاق، الأشيري عبد الله بن محمد (ت561 هـ / 1165 م) وهو أديب حاذق، محدث، ولد وتعلم بمسقط رأسه أشير، رحل إلى الشام، والعراق، دخل دمشق توجه إلى حلب ودرس بها الحديث ثم حج وجاور سنة (558 هـ) عاد إلى حمص التي استقر بها إلى أن توفى، وفاق جميع العلماء الشام، كما تفاخر

1 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص269.

2 – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ– 9هـ /12م –15م) دراسة في دورها السياسي والحضارة، ط1، دار المؤلفات للنشر والتوزيع، حمام الضلعة، المسيلة، الجزائر، 2016م، ص499.

الوزراء والملوك بمجالسته، والاسترشاد بعمله وقد استدعاه الوزير يحي بن هبيرة إلى بغداد لإقراء الحديث والتدريس علومه في بغداد[1].

ثم الزاوي يحي أبو الحسن (564 هـ -628 هـ /1169 م – 1231م) ويعتبر علم من إعلام الأدب، وقد كان شاعرا حاذق كثير الحفظ، أصله من زواوة، رحل إلى المشرق، استقر مدة في دمشق، حيث جلس للتدريس استدعاه حاكم مصر لشهرته، فلبى طلبه وتنقل إلى القاهرة ودرس بالجامع الأزهر فانتفع خلق كثير بعلمه وتوفي هناك[2].

وكذلك ابن الشرس ابن الجرح (564 هـ -656 هـ) محمد إبراهيم بن عبد الرحمان بن يحي ابن زكرياء أبو عبد الله إسحاق الأنصاري والتلمساني المالكي، نزيل الإسكندرية، ولد بتلمساني سنة 564 هـ، وسمع بسبتة وبمكة وقد كان عادلا ضابطا صاحب أصول وقد ساهم في نشر العلم، قال فيه منصور ابن سليم " المحدث الصالح" توفي بالإسكندرية سنة 566 هـ[3].

كما كان العالم الصوفي أبو الحسن علي بن خلف بن معرور الكومي (ت599 هـ -1201 م) حيث أخذ عن علماء مكة واستقر بالإسكندرية مدرسا الأصليين والحديث انتفع به الكثير من الناس[4].

وكان أبو عبد الله البجائي (604هـ -683هـ) محمد ابن إبراهيم بن يحي بن مصنور بن عيسى أبو عبد الله الانصاري البجائي، الزواوي الحلبي المنشأ، الفقيه الحنفي

---

1 – ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1979 م، ج4، ص198.

2 – عمار هلال: المرجع السابق، ص163.

3 – نقي الدين المقريزه: المقفى الكبير، تحقيق محمد العيلاوي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ج5، ص67.

4- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص269.

وقد كان مولده في مستهل المحرم سنة 604 هـ ببجاية، وقيل بزواوة رحل إلى المشرق وكان إمام يدرس بالمدرسة الأزبكية في القاهرة، وقد توفي بالقاهرة يوم الخميس 25 شوال 683 هـ[1].

ومن بين أبرز علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا إلى المشرق خلال هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر أبو عبد الله جمال الدين الزناتي التلمساني، استقر بالإسكندرية، أخذ عن عبد العزيز بن مخلوف الاسكندري وغيره، وتصدر لإقراء والتدريس العربية، فتخرج على يده جماعة كثيرون، وهناك اختلاف في تاريخ وفاته قيل 680 هـ، وقيل 693 هـ، وقيل سنة 691 هـ[2].

وهناك عالم آخر لا يقل أهمية، المليانى سليمان ابن يوسف رضي الدين، فقيه مالكي مشارك في عدة علوم من أهل مليانة، رحل إلى المشرق، ودخل بغداد، ولقي جماعة من العلماء أخذ عنهم، وقد سمع ببغداد ابن القبطي وطبقته وسمع من الصباغ القلعي سنة 637 هـ[3].

إضافة إلى البجائي والميلي، هنالك العالم محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الخزرجي التلمساني (ت665 هـ -1266 م) حيث رحل إلى المشرق واستقر بالإسكندرية واشتهر فيها بنشر العلم والتدريس والتصوف[4].

ومن أهل نفس القرن نجد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزاوي المالكي (ت681 هـ /1282 م) تلقى تعليمه أول الأمر على علماء بجاية ثم رحل إلى

---

1 المقريزي: المصدر السابق، ص67.

2 – عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م .

3 – أبي قاسم محمد الحنفاوي : المصدر السابق، ص97.

4 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

*تربة أم صالح: أنشأها الصالح أبو الجيوش اسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر وفيها المدرسة الصالحية، وكلاهما للشافعية بدمشق، انظر : علي أحمد : الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، ط1، دار طلاس للنشر، دمشق، سوريا، 1989م، ص197

المشرق ودرس على أيدي أبي قاسم بن عيسى بالإسكندرية، وأبي السخاوي بدمشق، وقد برع في علوم القرآن والفقه وتصدر التدريس بتربة أم صالح*، ثم ما لبث أن أسندت إليه مشيخة الإقراء الكبرى، ثم رياسة هذا الفن بالشام كله[1].

1-2-الخطابة:

الخطابة هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو منظنونة من شخص معتقد فيه الغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ ن وتعد الخطابة مظهر من مظاهر الرقي الإنساني وعلامة تطور المجتمعات وسمو فكرها، ولهذا عني بها كل شعب، واهتمت بها كل الأمم في كل زمان ومكان واتخذتها أداة لتوجيه الجماعات وإصلاح المجتمعات، وكانت وظيفة الخطابة في الدولة الإسلامية في عصر الأيوبي تعد من أشرف الوظائف[2].

ومن بين علماء المغرب الأوسط الذين تقلدوا مناصب الخطابة في المشرق نذكر مايلي:

الوهراني محمد ابن محرز بن محمد ركن الدين أبو عبد الله (575 هـ/1179م) أديب صناعته الإنشاد كان بارعا في الهزل والسخرية، كاتب بارع حاذق ولد ونشأ وتعلم في وهران، رحل إلى المشرق وحل بدمشق، فولى بها وظيفة الخطابة بجامع داريا بإحدى قراها، وقد زار القاهرة أيام صلاح الدين، فلقي جل علمائها منهم القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني، ثم عاد إلى داريا وتوفي بها[3].

1- مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ص، ص 588-589.

2 - عامر فتحي محمد الشيخ أحمد: فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الاول، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير، منشورة، جامعة شرق الاوسط، 2015م، ص ص 62-66.

3 - عمار هلال: المرجع السابق، ص164.

وكذلك من بين العلماء المغرب الأوسط الذي كان له السبق في الارتحال إلى المشرق العربي البوني إبراهيم بن يوسف، ينسب إلى بونة (عنابة حاليا) من كبار علماء عصره من المقرئين البارزين في وقته محدث جاد، ولد وتعلم ببونة، دخل المشرق ما لبث أن برز بين علمائه، فاستقطب إليه الأنظار بعلمه ومعرفته، سكن دمشق وتولى إمامة المحراب بها وكان أحد المشايخ القراء بها المعتبرين بالجامع وكان فاضلا خيرا متواضعا في حوائج الناس، وقد توفي بها سنة 612 هـ/1215م[1].

كذلك الوهراني علي بن عبد الله بن ناشر المبارك الوهراني أبو بكر ويقال أبو الحسن (615 هـ/1219 م) مفسر نحوي لغوي شاعر من أهل وهران رحل إلى المشرق، وسكن مدينة دمشق، وولي الخطابة بجامع داريا وهي إحدى قرى دمشق بالغوطة، وقد سمع منه أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي سنة 555 هـ /648 هـ[2].

1 – عمار هلال: المرجع السابق، ص168.

2 – عادل نويهض: المرجع السابق، ص349.

1-3-القضاء:

يعتبر القضاء من الخطط الدينية الشرعية المندرجة تحت الإقامة الكبرى والتي هي الخلافة وهو منصب يفصل بين الناس في الخصومات حسما للتنازع وقطعا للتداعي[1]. والقاضي يعتبر نائب ممثل للخليفة أو الوالي الذي هو الرئيس الديني والدنيوي للدولة الإسلامية، وقد شكل الحضور القوي للجالية المغربية التي استقرت خلال القرن السادس عدد من الحواضر المشرق (الحجاز، مصر، الشام، العراق)، دافعا لاعتماد منصب القضاء ومن بين علماء المغرب الأوسط الذين تولوا مناصب القضاء في المشرق نذكر منهم، البيجائي محمد عبد السلام بن عمر سيد الناس، وقد تولى القضاء في دمشق[2].

وكذلك الشاب الظريف (661 هـ- 688هـ /1263 م -1289م) هو محمد بن عفيف الدين الظريف التلمساني، كان شاعرا مجيد أصله من تلمسان هاجر مع أبوه إلى المشرق، وأقام بالقاهرة ثم انتقل إلى دمشق حيث كانوا لا يرون له شاعر إلا وهم وولّى بها عمالة الخزانة إلى أن مات ودفن بمقابر الصوفية[3].

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص174.

2 - الطاهر بونابي: المرجع السابق،ص164.

3 - عادل نويهض: المرجع السابق، ص316.

1-4 التصوف:

يقول ابن خلدون: هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخاطبة الدنيا، واختص المقبلون على العبادة باسم صوفية والمتصوفة[1].

مما يدل على أن أصحاب التصوف اعتكفوا على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى وأعرضوا عن ملذات الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا، وفي القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخاطبة الدنيا وهكذا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[2].

وقد عرفت مصر والشام والحجاز دخول عدد صوفية المغرب الأوسط على مختلف اتجاهاتهم الفكرية، آثروا فيها حياة الخلوة والانقطاع والتعبد[3].

نذكر منهم ما يلي: أبو عبد الله محمد بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي / ت 590هـ-1193م) من أعمال تلمسان وقد غادر قريته تاونت باتجاه مكة، ثم دخل

1 – ابن خلدون: مقدمة، المصدر السابق، ص611.

2 – عبد الله ابن عبد القادر التليدي: المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2003م، ص17.

3 – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ 9هـ/12-15م) ص 620

المدينة المنورة ثم بلاد الشام، واستقر به المقام في جبل لبنان، ونظرا لورعه وزهده وعمله اختاره صوفية الجبل عليهم بعد وفاة شيخهم[1].

وكذلك العالم الصوفي أبو الحسن علي بن خلف بن معرور الكومي (ت 599هـ-1201م) حيث أخذ عن علماء مكة وبغداد، استقر بالإسكندرية مدرسا للأصليين، والحديث انتفع به كثير من الناس، وكانت طريقته في التصوف تقوم على الزهد والجنوح إلى الخلوة[2].

كما كان البوني أحمد بن علي أبو العباس (ت 622هـ/1225م) أصله من عنابة ناسك متعبد من أشهر المهتمين والدارسين الغيبة، تعلم في عنابة، ثم رحل إلى المشرق العربي حيث استقر نهائيا بالقاهرة إلى أن توفي بها، ويعتبر من أشهر العلماء الباحثين في ميدانه [3].

وكان عمر بن محسن الصواف (ت690هـ/1291م) الذي غادر بجاية في سنة (660هـ/1261م) نحو مكة، ثم استقر بالقاهرة التي أشتهر فيها بالزهد والاعتناء بالفتاوى، فكان إذا أفتى ترجح فتواه على فتوى غيره، ونظرا لعوا شأنه أصبح حكام المماليك يتبركون به ويتسابقون لخدمته، غير أنه كان يتحاشاهم لعفة في نفسه[4].

1 – الطاهر بونابي: المرجع نفسه، ص269.

2 – نفسه، ص269.

3 – هلال: المرجع السابق، ص169.

4 الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص272.

1-5-التأليف

من بين علماء المغرب الأوسط الذين كانت لهم إسهامات في الإنتاج الفكري وذلك من ما تكون من آثار في التأليف، نذكر منهم أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري، حيث ألف كتاب عنوانه " الايضاح في شرح المعاني الصحاح" وله كتاب آخر بعنوان تهذيب الاشتقاق للمبرد" وله شرح لقصيدة الحصري[1].

وكذلك من بين الذين كان لهم اسهام في الانتاج الفكري عمر بن علي البذوخ القلعي (576هـ/1180م) وكان عالم بالأدوية المركبة والفردة، له معرفة بالطب، أصله من قلعة بني حماد ى، رحل إلى المشرق، سكن دمشق وتوفي بها، ومن اهم ما ترك من آثار كتاب شرح أصول أبقراط، وأرجوزة، وذخيرة الألباب، في الباءة، وألف كتاب بعنوان: حواشي على قانون ابن سينا[2].

أما الوهراني علي بن عبد الله بن ناشر المبارك أوبو بكر الحسن فكان من آثاره في المشرق " تفسير القرآن الكريم"و" سرح شواهد الجمل للزجاجي في النحو"و" شرح المعلقات السبع واعرابها" وهي عبارة عن مخطوط في برلين[3].

والبوني أحمد بن علي أبو العباس وله تآليف عدة يصعب حصرها في هذا المقام، وقد تفوق خمسين مؤلفا أو تنقس، فقد ألف كتاب بعنوان "أسرار الحروف والكلمات" و"اظهار الرموز وابداء الكنوز، وبحر الوقوف في علم الأوقاف والحروف"و" تحفه الأحباب ومنية الكلمات الموضوعة في الرقوم"و"موضع الطريق وقسطاس التحقيق من

1 – عادل نويهض: المرجع السابق، 17.

2 – خير الدين الزركلي: الاعلام قاموس التراجم، ط15، دار العلم الملايين للنشر، بيروت، لبنان، 2002م، ج5، ص55.

3 – عمارهلال: المرجع السابق، ص129.

مشاكاة أسماء الله الحسنى والتقرب بها إلى المقام الأسنى" وهو عبارة عن شرح أسماء الله الحسنى، ويتضح من خلال هذه المؤلفات التي انتشرت في المغرب والمشرق الاسلاميين، أن البوني كرس القسم الكبر من حياته في ميدا البحث، عن أسرار الحروف فأعتبر رائد العلوم الغيبية في المشرق والمغرب الا أن مبالغته في الاعتناء بهذا العلم أوقعه في الانحراف إلى عالم السحر فقد ألف عددا من المؤلفات نذكر منها،"سر الصوت في حوادث الكون" وسر الجمال ولطائف الجلال، في طلمسات، ففتح بذلك باب السحر والشعوذة على مصراعيه أمام المشتغلين بالسحر والتعاويذ[1].

أما بخصوص آثار محمد إبراهيم بن عبد الرحمان الخزرجي التلمساني فأهم ما ألفه هذا العالم هو شرحه لكتاب التفريع – والجلاب لأبي القاسم عبد الله بن جلاب [2].

1 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص271.

2 – نفسه، ص 271.

2- مغربا

2-1-التدريس

وهناك علماء من المغرب الوسط الذين رحلوا إلى حواضر المشرق العربي مثل مصر، الشام، الحجاز والعراق، فجلسوا إلى الاعلام هذه المدن لتكوين أنفسهم وتحصيل المعارف وتعميقها حتى أصبحوا حجة في الفقه وأصوله وعلوم الحديث والتفسير، ونالوا حظهم من الدراسات النحوية واللغوية، ثم عادوا إلى بلادهم حاملين معهم نفيس الكتب واجازات الكفاءة والتقدير وأسانيد القراءة والحديث، وعملوا على بث ونشر كل ما حصلوه من معارف في مجالس العلم وتصدرو حلقات الدرس وسنقتصر على ذكر عينات من هؤلاء، ويأتي في مقدمتهم: محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان محمد بن تومرت: الذي نشأ نشأة دينية في قبيلة هرغة وهي إحدى قبائل مصمودة وبدأ رحلته في طلب العلم إلى الأندلس، وبعدها رحل إلى المشرق سنة (498هـ/1105م) مارا بالإسكندرية، ثم بغداد، وهناك انكب على دراسة فقه أبي الحسن الأشعري، واعتنق مذهبه[1].

وقد استطاع ابن تومرت أن يستفيد من رحلته المشرقية وأن يتحصل على علوم متنوعة تجمع بين العلوم العقلية والنقلية ضبط الأصول وعلم الكلام، وعقائد الأشاعرة وتأثر بالمعتزلة، وغير ذلك من العلوم، وبعدها توجه إلى بجاية عاصمة بني حماد إلى قرية ملالة[2]، وكان ذلك سنة 511هـ ونزل بمسجد الريحانة وقد اتخذ منه مدرسة لتدريس العلم، وقد كان يحضر اليه زيادة على محبي العلم من الطلبة والمتعلمين جماعة من

1 – عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص74.

2 – علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص258.

الفقهاء، وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي، الذين سيخلفه ويحقق مقاصده، فكانت هناك فرصة للمدارسة والتناظر يبلغ فيها مذهبه الجديد في الأخذ في الأصول وانتهاج التأويل[1].

كما كان العالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم السدراتي نسبة إلى سدراته، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وكذلك للتعرف على عواصم المشرق العلمية فقصد الحجاز، وواصل طريقه بعد الحج إلى بغداد، ولما كان في طريقه إلى بغداد مر بالقاهرة وقد استفاد من مجالس العلم والعلماء، ثم عاد إلى بلده، واستقر ليتفرغ للتدريس والتأليف[2].

أما أبي صالح عبد القادر الجيلاني (ت 560هـ/ 1164م) الذي رحل إلى المشرق فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيرا من الأحاديث، وألبسه خرقة وأودعه كثيرا من أسراره، وحلاه بملابس أنواره ثم رجع إلى بجاية، وأشتهر بها أمره وقصد بزيارة من جميع الأقطار وتخرج عليه أكثر من ألف شيخ، من بينهم محي الدين محمد بن العربي والشيخ أبو محمد صالح بن عبد الخالق التونسي، وأبو يوسف الدمهاني القيرواني، والشيخ الطاهر المزوغي السافي، وأبو عبد الله محمد الدباغ والد المؤلف، وكان مجلسه حافل للغاية، وقد توفي بتلمسان سنة 594هـ/1197م)[3].

1 – عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص،ص، 89،90.

2 – مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص–ص، 108–139.

3 – محمد بن محمد بن عمر مخلوق: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002م، ج1، ص236.

2-2-الفقه

الفقه هو معرفة أحكام الله في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر، والندب والكراهة والاباحة، وهي متلقات من الكتاب والسنة، وما نصبه الشرع لمعرفتها من الأدلة، فاذا استخرجت من تلك الأدلة قيل لها فقه[1].

وقد شهدت بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط نهضة علمية راقية اتركزت بالأساس على عاملين أساسين هما، قيام مراكز اشعاع علمي وبروز نخب فكرية عالمة ولعل من أبرز مميزات هذا العهد على الصعيد العلمي هو الزخر الكبير الذي حظي به الفقه المالكي في مسار حركة العلوم حيث انكب فقهاء المغرب الأوسط على دراسة المصنفات الفقهية والتأليف فيها، ومن بين أهم المجالات التي نالت اهتمام علماء المغرب الأوسط هو علم الفقه وأصوله[2].

وذلك باعتباره جملة القواعد والأحكام المستخرجة من الكتاب والسنة لتنظيم حياة الفرد الدينية والاجتماعية، والبحث في الفرائض الدينية والكبائر والصغائر وعقاباتها، ومن هذا المنظور واصلوا تدريس مذهب الامام مالك، واهتموا بكتاب الموطأ وغيره من كتب الفقه المالكي والامام سحنون[3].

ومن بين هؤلاء العلماء نذكر ما يلي أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، وهو مفسر ويعتبر من أكبر فقهاء الاباضية من أهل ورجلان[4].

---

1 – ابن خلدون: المقدمة، ص 563.

2 – أبو زكريا الزاوي: اسهامات فقهاء المغرب الأوسط في علم الأصول الفقه ما بين القرنين (4هـ-9هـ/10م-15م) مجلة متون الاجتماعية، العدد، الثالث ج8، 2016، ص190.

3 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص244.

4 – مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص،ص 108.

وكذلك نجد العالم المشدالي (631هـ-731هـ/1234م-1331م) هو منصور ابن أحمد بن عبد الحق المشدالي أبو علي، يعتبر من أكبر فقهاء المالكية له مشاركة في العلوم العربية والمنطق والجدل نشأ في بجاية وبها تعلم، ثم رحل إلى المشرق، فأخذ عن شمس الدين الأصبهاني، وشرق الدين ابن السبكي، وغيرهما، رحل مع أبيه في صغره إلى مصر، وتهذبت اخلاقه، ورفعت طباعه وقرأ على الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره، ثم رجع بعلوم من أصول وفقه والأدب والكلام والتصوف، وأقبل على العبادة والاقراء، توفي ببجاية [1].

وكذلك العالم أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني (644هـ/1246م) وهو الشيخ الجليل الفاضل الكامل المحصل المتقن المجتهد رحل إلى المشرق ولقي الأفاضل والجلة ثم رجع إلى المغرب، وسكن بجاية ودرس بها، له علم بالعربية والفقه وأصول الدين، وقد كان إمام في الفقه[2].

وكذلك نجد أن من بين فقهاء المغرب الوسط علي ابن أبي نصر فاتح بن عبد الله البجائي (652هـ/1254م) الفقيه العالم الورع ابن أبي نصر فتح عبد الله من أهل بجاية رحل إلى المشرق، وسمع بمكة من طرف يونس بن يحي الهاشمي، وبالقدس أبا الحسين جبير، وبدمشق الدمياطي، وبالاسكندرية الأبياري، ثم عاد إلى بجاية، فدرس بها وتوفي بها آخر جمادي الخير سنة (566هـ)[3].

1 - عادل نويهض: المرجع السابق،ص،ص،303،302.

2 - نفسه، 314.

3 - أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهزامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط2، طرابلس، 1989م، ج2،1، ص321.

2-3-نشأة التصوف

اذا كان التصوف قد ظهر في المشرق خلال القرن الثاني للهجرة وتبلور في القرن الثالث للهجرة، فانه لم يجد طريقه إلى المغرب الاسلامي في نفس الفترة حتى القرن السادس الهجري أو قبله بقليل[1].

فلا سبيل لانكار التلاقح الروحي بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه، اذ نعلم يقينا أن التصوف انتشر انتشارا واسعا في الشرق ابان هذه الحقبة لذلك بات بديهيا أن يصل هذا التيار إلى المغرب بواسطة الرحلات العلمية، حيث كان للرحلة العلمية دورا في دخول المصنفات الصوفية المشرقية بواسطة الإجازات تصدر البعض لتدريسها بعد أن اخذوها على يد مؤلفيها، وبذلك دخلت الطرق الصوفية والآراء والرحلات العلمية والمذاهب[2].

خاصة المذهب الغزالي الذي وجد له الموحدون أنصارا ودعاة، فنشرت كتب الغزالي مثل أصول الفقه، إحياء علوم الدين وغيرها، ذلك لأن ابن تومرت قد تتلمذ على يد الغزالي[3].

بالإضافة إلى ذلك هناك صوفية عادوا من المشرق واستقروا في المغرب الأوسط حملوا معهم مصنفات التصوف المشرقية وعملوا على نشرها وتبسيط مضمونها لجمهور الطلبة[4]. من بينهم عالم من أعلام أبو مدين شعيب الغوث البيجائي (594هـ/1198م)

---

1 – منير قندوز عبد الناصر عزوز: تاريخ التصوف في بلاد المغرب الاسلامي والجزائر، ضمن كتاب جماعي، حول التصوف بين الماضي والحاضر، اشراف جاب الله طيب، تصميم واخراج بركات عبد الحق، النواصري للطباعة والنشر، الجزائر، 2018م، ص341.

2 – ابراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1993م، ص129.

3 – منير قندوز وعبد الناصر عزوز: المرجع السابق، ص337.

4 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص337.

الذي يعتبر شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوتهم، الامام المشهور، كان من الأولياء الأبدال، وقد جمع الشريعة والحقيقة، وأشتهر بشيخ المشايخ، وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصا جامع الترميذي قائم عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها، وقد توجه إلى المشرق، وأخذ من أعلام علمائها واستفاد من زادها وأوليائها، وقد تعرف في عرضه بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه في حرم كثيرا من الحديث، وكان أبو مدين يفتخر بصحبته، ويعده أفضل مشايخه الأكابر، ثم غادر من المشرق وتوجه نحو بجاية واستوطنها حيث فضلها على كثير من المدن[1].

وقد درس بها لرسالة القيشرية فكان بذلك أن ساهم في ادخال مصنفات صوفية سنية اعتمدها مرجعية لأصل طريقته التي ذاع صيتها، وكثر أتباعها في المغرب خلال القرن السادس الهجري[2].

وكذلك أبو زكريا يحي ابن علي الزاوي (611هـ/1214م) من أهل أمسيون خارج مدينة بجاية، ولد في بني عيسى قبائل زوارة، كان من المتعبدين لزهاد الأولياء، رحل إلى المشرق، فأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى المغرب الأوسط، واستوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، جلس بها لنشر العلم وبثه[3].

فأنتفع الخلق على يده، وظهرت عليهم بركته، وكان معروفا بالبركة والكرامات، ومن بين أشياخه، الفقيه أبو الطاهر اسماعيل. بن مكي بن عوف الزهري، روى عنه الموطأ، والقاضي أبو سعيد مخلوف ابن جارة روى عنه المصابيح وكتب اجازة وسماعا، والامام أبو طالب أحمد بن رجاء اللخمي، قرأ عليه واخذ عنه الأصليين حفظا واتقانا والحافظ أبو

1 – أحمد بابا التنبكي: المصدر السابق، ص،ص195–197.

2 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص72.

3 – بن يحي التادلي: التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ط2، منشورات كلية الآداب، بالرباط، دار البيضاء، 1997م،ص، ص 428–429.

الطاهر السلفي صبيحة وأخذ عنه اعجاز القرآن الكريم الخطابي، والامام أبو عبد الله بن بكرة الكركني قرأ عليه المذهب رواية ودراية[1]، وكذلك نجد العالم أبو العباس بن عثمان بن عبد الجبار الذي كان له حظ من التصوف، ونصيب من العبادة وكان موقرا محترما مهابا، وكان له في التلقين[2].

أما أبو زكرياء يحي بن زكرياء بن محجوبة القريشي السطيفي (677هـ/1278م) فقد كان من المتعبدين لزهاد الأولياء، رحل إلى المشرق ولقي مشايخ، حيث اقتصر على أبي الحسن الحرالي، واستفاد منه علم الظاهر والباطن، وحصل من هدية الجلي والكامن لقيه بالديار المصرية وصحبه هناك مدة طويلة، بعدها عاد إلى المغرب الوسط وتوفي في سنة (677هـ) [3].

وبذلك كان المغرب الوسط معبرا للتجار والحجاج وطلبة العلم الذاهبين إلى المشرق والعائدين منه، فما ظهر على ساحة الوجود تيار أو مذهب الا كان له صداه في المغرب الأوسط، ومن هذا المنطلق عرف المغرب الوسط الاتجاه الصوفي الذي ساد في المنطقة خلال القرن السادس الهجري خلال فترة حكم الموحدين، وقد تميز التصوف بالمغرب الأوسط في مراحله الأولى بالتصوف العلمي[4].

لقد تميز قضاة المالكية عن غيرهم من القضاة في المذاهب الأخرى بالصلابة والشدة في الحكام التي ورثوها عن الامام مالك بن أنس وغيره من كبار العلماء المالكية، وهو ما

1 – الغبريني: المصدر السابق، ص131.

2 – نويهض: المرجع السابق، ص314.

3 – الغبريني: المصدر السابق، ص103.

4 – منير قندوز و عبد الناصر عزوز: المرجع السابق، ص341.

أكده المقري بقوله " أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة... لكونهم قائمين بالقسط واحق ويعول فيه مسائلهم ونوازلهم[1].

ومن علماء المغرب الوسط الذين رحلوا إلى المشرق ثم عادوا وتولو منصب القضاء هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المشتهر بالأصولي (612هـ/ 1215م) من أهل بجاية، رحل إلى المشرق، ولقي الجلة من أهل العلم، ثم عاد إلى بجاية وولي القضاء بها ثلاثة مرات، وله الفضل في التقدم العلمي، وكان يحضر مجالس العلم لأمير المؤمنين ابن عبد المؤمن وقد كان أمير المؤمنين يجد منه في مجالسه، وتوفي ببجاية سنة (612هـ)[2].

1 – خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ص598.

2 – الغبريني: المصدر السابق، ص، ص208–209.

2-4-التأليف

-مؤلفات ابن تومرت:

تغطي آثار ابن تومرت ومؤلفاته جملة من العلوم التي كان قد درسها وبرز فيها من حيث أصول الدين، فقد ألف كتاب بعنوان: رسالة المرشدة وهي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز صفحتين، وهي موجز لمسائل العقيدة كما ألف رسالة "التوحيد" حيث وظف فيها الحجج العقلية، الدافعة في صدر أهل البدعة، وألف كذلك كتاب في الامامية، الذي افتتحه بقوله "أعز ما يطلب" وصار لقبا لذلك الكتاب[1].

وله رسالة التوحيد هو أساس الدين، وهي تتحدث في معنى التوحيد ومقتضاته، وآدابه، وله كتاب التوحيد باللسان البربري، وله رسالة في الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل[2]، وله كتاب في الطهارة، اختصار المسلم الصغير وكتاب الغلول، كتاب تحريم الخمر، الكلام على العبادة، الكلام في العلم، وكتاب بعنوان: الكلام في العموم والخصوص، كتاب المعلومات، كتاب القواعد، وتسبيح الباري، العقيدة الكبرى، وكتاب آخر للباري [3].

كما ترك ابن تومرت عدة آثار في الحديث، وهي عبارة عن مجموعة من الأحاديث مرتبة الرسائل، ومن بينها محاذي الموطأ، ورسالة في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين، ورسالة فيما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من آياته ومعجزاته[4].

---

1 -ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص302.

2 -عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص152.

3 -محمد ابن تومرت المهدي: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، د،ط، مؤسسة العني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م، ص10.

4 - عبد المجيد النجار: المرجع السابق ص، ص، 156-157.

أما الورجلاني أبو يعقوب فلقد قدّم عصارة علمه وتجاربه، وكان ذلك عبر مؤلفاته، وأهم ما ألف "كتاب العدل والانصاف" وترك تفسيرا للقرآن الكريم، كما أعاد ترتيب كتاب المسند الربيع، ابن الحبيب، وكان ذلك بعنوان "ترتيب المسند"، وقد طبع في ثلاثة مجلدات، وله رسالة بعنوان: ترجمة رجال الاباضية، كما ألف في أصول الفقه كتاب الموسوم ب"العدل والانصاف" في معرفة أصول الفقه والاختلاف ويقع في ثلاثة أجزاء[1].

كما ألّف كتاب آخر بميدان أصول الدين بعنوان "الدليل" لأهل العقول الباغي السبيل بنور الدليل وتحقيق مذهب الحق والبرهان والصدق " وهو يتكون من ثلاثة أجزاء وفي كتاب آخر بعنوان "تعليقات المنطق"، وكتاب مرج البحرين في المنطق، وبحر الألفاظ والكلم وبحر المعاني والحكم الحمد لله مبدأ النعم، ومبدأ الحكم وكاشف الظلم" وكتاب مروج الذهب في الفلسفة، وكتاب بخر بعنوان فتوح المغرب كما ألف كتاب بعنوان القصيدة البائية، وكتاب بعنوان القصيدة الحجازية [2].

كما ترك أبو مدين مؤلفات عديدة غير أنها قليلة قياسا بغيره من الأعلام التصوف الكبار إذ لا تتعدى ستة مؤلفات، اضافة إلى ديوانه وهي كالتالي: -"أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد"، وتحفة الأريب ونزهة اللبيب، حرز الأقسام، وعقيدة في التوحيد، وهي رسالة صغيرة في العقيدة، وألف مجموعة من الحكم استنتجها من خبرته في الحياة وكذلك مفاتيح الغيب لازالة الريب وستر العيب، قصائد وأزجال وألف كتاب بعنوان، ذكر المختار حبار أن للشيخ منامات رمزية [3].

1 – مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص156.

2 – نفسه، ص 156.

3 – نصيرة شينة: الشعر الصوفي المغربي أبو مدين الغوث وعفيف الدين التلمساني نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، منشورة، جامعة باتنة، الجزائر، 2018م، ص 43.

أما بالنسبة للمشدالي فأهم مؤلفاته هو " شرح الرسالة أبي محمد بن أبي زيد" ولم يكمله[1].

كذلك نفس الشيء بالنسبة أبو زكرياء يحي بن زكرياء بن محجوبة القريشي السيطيفي فمن بين آثاره أنه ألف كتب في شرح أسماء الله الحسنى" وله في التصوف "تقاييد" كثيرة وله نظم الحسن، وقطع مستحسنة، وهي كلها في المعاني الصوفية[2].

2-5- العقيدة التومرتية:

لقد كان تأثير المهدي بن تومرت في بلاد المغرب الأوسط في كل من قسنطينة وبجاية ورباط وملالة، وتلمسان سنة (512هـ/1118م) بعد عودته من المشرق [3] فأظهر بها التدريس والعلم والوعظ، واجتمع عليه الناس [4] حيث أن الخط الرئيسي في الفكر ابن تومرت، ينظم فيما اعلنه من ايثاره للمذهب الأشعري المرشد وأخذه بعصمة الامام علي الامامية [5] وهذا ما ئؤكد ابن خلدون بقوله " أن ابن تومرت بعد رحلته إلى المشرق لقي بالمشرق الأئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم استحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب إلى رأيهم في التعبير المتشابه من الأيات والأحاديث، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار التشابهات بالأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد، والعقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد، وما اخذه

1 – عادل نويهض: المرجع السابق، ص303.

2 – الغبريني: المصدر السابق، ص105.

3 – أبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت، دط، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1971، ص،ص،19،14،13،12.

4 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص156.

5 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص302.

من مذهب الشيعة الامامية فيتجلى بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة [1] فقدم بذلك عقيدة تجريدية، بحيث أضفى عليها عملا تربويا وأخذ في تعميمها في كافة أنحاء المغرب[2].

كما أشتهر بن تومرت برحلاته نحو المشرق وبملازمته للمساجد، وبعد عودته إلى هرغة سنة 515هـ/1121م، توجه إلى ايكلين وهي من بلاد هرغة، وقام بتأسيس رابطة للعبادة، واجتمع عليه الطلبة والقبائل فعلمهم التوحيد[3].

وهذه العقيدة أصبحت بعد وفاته مفروضة على العامة من طرف خلفاء الدولة الموحدية[4]. وكل هذه المصنفات جمعت في كتاب أعز ما يطلب فصار هذا المفتح لقبا على ذلك الكتاب[5].

1 – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6 ، ص302.

2 – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص88.

3 –أبي عبد الله الزركشي: المصدر السابق، ص5.

4 –بونابي: المرجع السابق، ص88.

5 – ابن خلدون: المصدر السابق ص 302.

خاتمة

من المعلوم أن لكل رحلة نهاية، ولكن رحلتنا في هذه الدراسة العلمية قد انتهت إلى بداية الطريق، أكثر من الوصول إلى نهايته.

ومن خلال دراستنا لموضوع الرحلة العلمية ودورها في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد الموحدي، كان الهدف من هذا البحث هو تبيان الدور الكبير للرحلة العلمية وذلك من خلال تبيين العلاقات بين المغرب الأوسط والمشرق، وابراز مظاهر ونماذج التفاعل والتبادل الثقافي.

وقد تمكنا من الوصول إلى بعض الاستنتاجات خاصة فيما تعلق برحلة علماء المغرب الأوسط في عهد الموحدي، وأهم الاستنتاجات التي توصلت اليها أذكرها كالآتي:

لقد شهد المغرب الأوسط في العصر الموحدي خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، فترة من اخصب عطائه الثقافي، حيث أن الحياة الفكرية بالمغرب كانت نشيطة والتي قامت على الموروث الثقافي الكبير الذي كان مع المرابطين ثم تدعمت أهميتها مع حركة الموحدين، حيث قامت فيها المراكز الثقافية (تلمسان، ورجلان، قلعة بني حماد، بجاية، أشير) وازدهرت بها الحياة الفكرية، حيث كان لهذه المراكز دور فعال التي ساهمت في الرحلة العلمية، ضف إلى ذلك أن حركة الموحدين قد جمعت كل تيارات الفكر الاسلامي المعاصر لتلك الفترة، وبذلك تنوعت الحركة الفكرية فيها وأفرزت نشاطا علميا.

ضف إلى ذلك التحول الذي عرفته حواضر المشرق مع الدولة الأيوبية حيث نجد أن هذا الاتجاه السني المحافظ بدأ يسيطر بقوة وثقة على أرضية الحياة الفكرية حتى أدى إلى ازدهار الدراسات القرآنية ضمن اطار سني، والى زيادة الاهتمام بالحديث النبوي باعتباره مصدرا هاما للتشريع وتشجيع المدارس الدينية المحافظة لكتب التراث الديني والتاريخي .

مثّلت الرحلة العلمية أهم عنصر في كمال التعليم، بالاضافة إلى ابراز التزامهم بمواصلة العمل الثقافي برغم من كل الصعوبات التي واجهتهم اذ شدّد ابن خلدون على الرحلة العلمية

بقوله: رغب الرحالة في ارتياد المجهول وتقصي الحقائق وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية، وأنها ضرورية في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال: فعندما يكون تحصيل العلم بالمباشرة والتلقين تكون أشد استحكاما وأقوى رسوخا.

ومن هنا نجد أنه كان للرحلة العلمية دور كبير في اثراء المجال العلمي من خلال تنقل العلماء والطلبة بين حواضر المشرق.

كذلك من بين النتائج المتحصل عليها هو أن علماء المغاربة المهاجرين استطاعوا تكوين الجسر الواصل بين الثقافتين، حيث عرفوا أهل المشرق بأحوال أهل المغرب، ومن هنا تكمن أهمية البحث وذلك من خلال اعطاء بعض الأمثلة التي يمكن أن توضح لنا هذا الأمر، فهذا مثلا، أبو محمد عبد الله الأشيري رحل إلى المشرق نزل ببغداد، ودرس بها ثم قصد الشام واستقر بحلب، وأسمع بها الحديث، وكذلك الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحي بن منصور البجائي، الفقيه الحنفي رحل إلى المشرق وكان امام المدرسة الأوزبكية في القاهرة.

أما الذين عادوا إلى المغرب هم الذين شكلوا خميرة التلاقح بين المشرق الاسلامي ومغربه، فقد نقلوا اليها صورة عن المجتمع المشرقي والثقافة المشرقية، فأليهم يرجع الفضل في نشر ما تأثروا به من أفكار وأراء والمذاهب، وكذلك من خلال المصنفات المشرقية التي أدخلوا إلى بلاد المغرب، وجلسوا لاقرائها في مجالسهم العلمية مثل الحركة الموحدية هي ليست مبادرة جهوية فردية لعالم منعزل في مجال مصمودة بل هو ما كان افراز كاملا لمسار قام به ابن تومرت من خلال زيارته للمشرق، والعالم أبو زكرياء يحي ابن علي الزاوي الذي رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى المغرب وجلس لنشر العلم وبثه.

وهكذا كانت الرحلات، ولا تزال هي السبب الأقرب في تثقيف العقل والنبوغ في العلم متى كان الراحل مجدا غير هازل، وفي هذا الصدد نظم الامام الشافعي (ت 204هـ) أبياتا منها:

وبالتالي فان الرحالة من أسلافنا قد أفادوا مجتمعاتهم واستفدنا منهم بالعلم، وأدوا دورهم في التدريس، وجمعوا معلومات قيمة عن البلدان التي زاروها، فحدث الاتصال والتآلف بين أفراد وجماعات العالم الاسلامي، لذلك وجب علينا اليوم أن نسلك طريقهم، ونقتدي بفعلهم، ولا سيما وأن صعوبات رحلات اليوم لا تقارن بمثيلاتها بالأمس، فنستفيد معرفة وتجارب جديدة، وتوطد صلات المحبة والاخاء في بلدان العربية التي لا يعرف بعضنا سوى أسمائها.

الملاحق

ملحق رقم 01

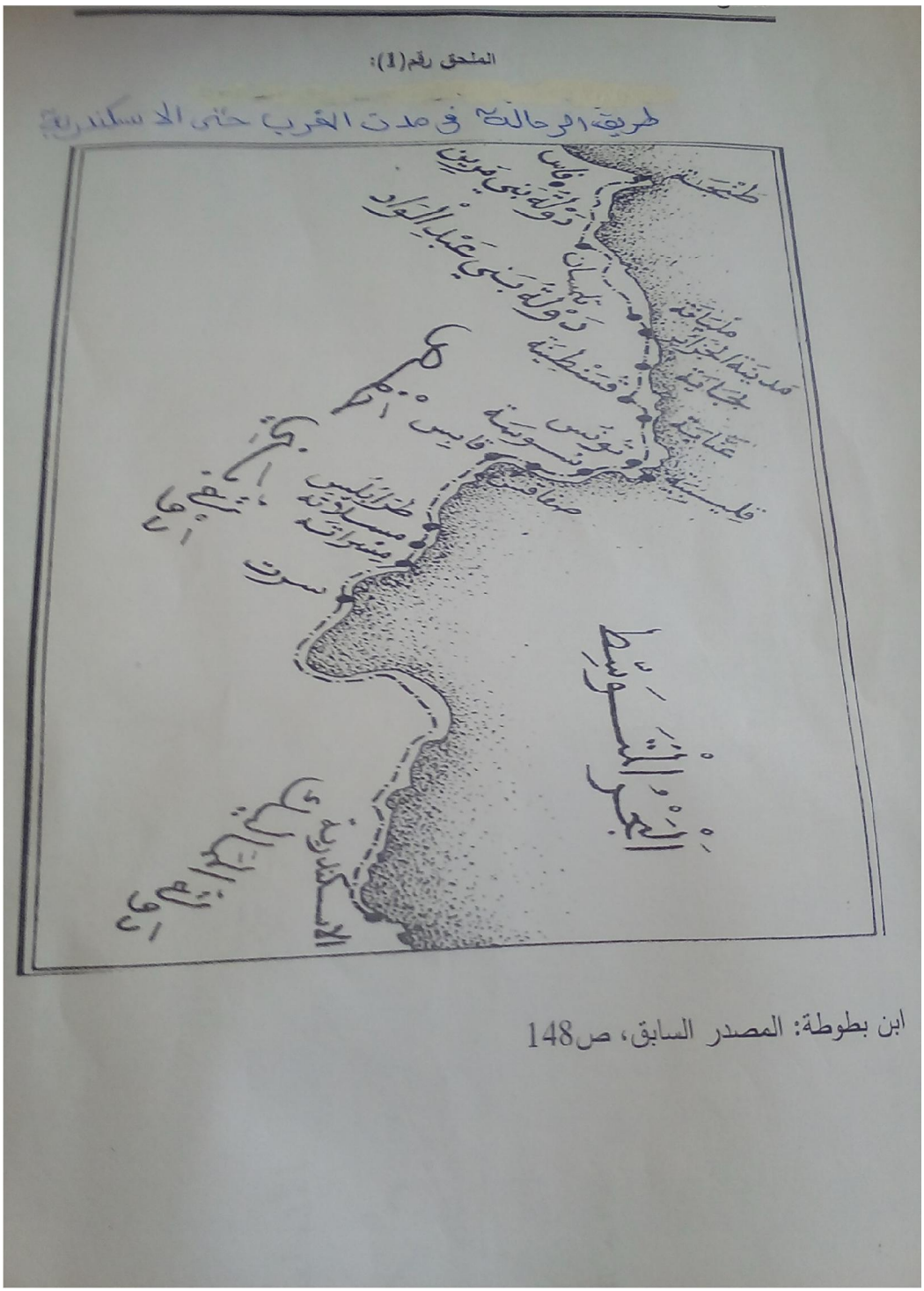

ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148

ملحق رقم 2

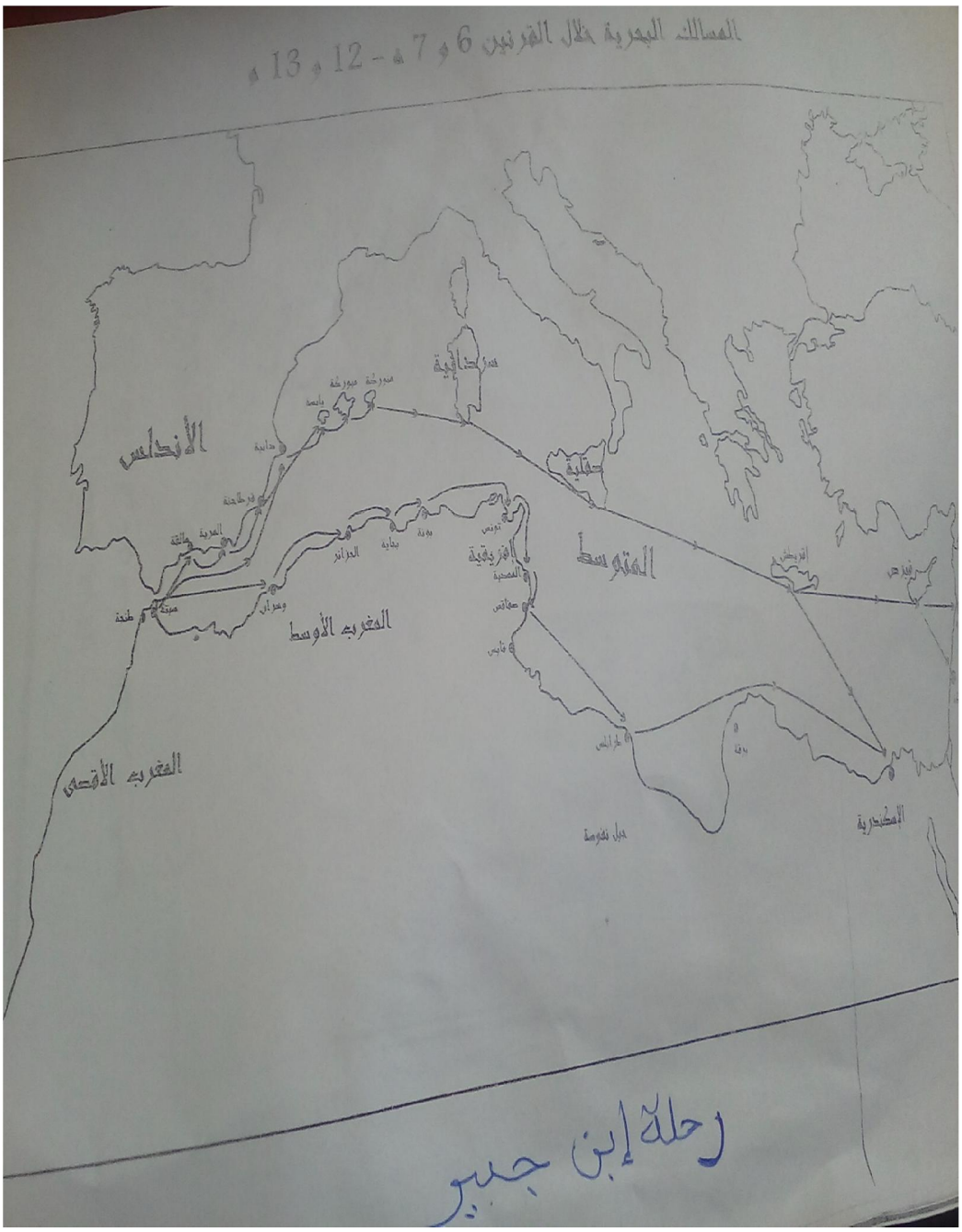
المسالك البحرية خلال القرنين 6 و 7 هـ - 12 و 13 م
الأندلس
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
المشرق
رحلة ابن جبير

ملحق رقم 3:

جدول يمثل علماء المغرب الأوسط الذين استقروا بالمشرق خلال القرن السادس هجري والثاني عشر ميلادي

اسم العلم	تخصصه	مكان نشاطه	مؤلفاته	المصدر والمرجع
محمد الأشير عبد الله (توفي 561هـ-1165م)	التدريس والقراءات	دمشق	-الإيضاح في شرح المعاني الصحاح - تهذيب الإشتقاق للمبرد	عمار هلاّل: العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية، ص 163.
عمر بن علي البدوخ(576هـ-	الطب	دمشق	-شرح لأصول	خير الدين الزركلي: الأعلام:ج5، ص

1180م)			أبقراط -أرجوزة ذخيرة: الألباب في الباءة -حواشي على قانون ابن سينا.	.55
أبو عبد الله البجائي: محمد ابن ابراهيم ابن يحيي ابن منصور ابن عيسى أبو عبد الله الانصاري البجائي(604-683هـ)	التدريس	القاهرة: المدرسة الأوزبكية		المقريزي : المقفى الكبير.
محمد ابن عبد الله ابن عبد العزيز ابن عمر أبو عبد الله جمال الدين التلمساني.	التدريس	الإسكندرية	ع	عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 119.
الملياني سليماني رضي الدين	التدريس والفقه	بغداد		الحلفاوي: تعريف الخلف برجال السلف، ص 430.
الزاوي يحي أبو الحسن 564هـ-628هـ-1169-1231)	التدريس	جامع الأزهر (القاهرة)		عمار هلال: المرجع السابق، ص 163هـ.
ابن الشرس ابن الجرح محمد إبراهيم ابن عبد الرحمان ابن يحي بن زكارياء ابو عبد الله ابن أبي إسحاق	التدريس والحديث	الاسكندرية		المقريزي: المصدر السابق، ص 67

الأنصاري التلمساني(564-656هـ)				
أبو الحسن علي ابن خلف ابن معروف الكومي توفي 599هـ-1201	مدرسا	الاسكندرية		الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر ، ص 269.
عبد السلام ابن علي ابن عمر سيد الناس الزاوي (توفي 681-1282م)	التدريس	تربة أم صالح بدمشق، الجامع الاموي، الزاوية الملكية .		مفتاح خلفات: قبيلة الزواوة المغرب الاوسط، ص 588.
الوهراني محمد ابن محرز ابن محمد ركن الدين أبو عبد الله (575هـ-1179م)	الخطابة	جامع داريا بدمشق		عمار هلاّل: المرجع السابق، ص 164.
البوني إبراهيم ابن يوسف (612هـ-1215م)	الخطابة الإمامة القراءات	دمشق		عمارهلاّل: المرجع السابق، ص164.
الوهراني علي ابن عبد الله ابن ناشط المبارك أبو بكر أبو الحسن (615هـ-1219م)	الخطابة	جامع داريا بدمشق	تفسير القرآن الكريم شرح الشواهد الجمل للزجاجي في النحو شرح المعلقات السبع وإعرابها	عادل نويهض: المرجع السابق، ص 349

الشاب االظريف محمد بن عفيف الدين	القضاء	دمشق		عادل نويهض: المرجع السابق، ص 316.
أبو عبد الله محمد ابن حسان التوانتي الميلي، توفي 590هجري- 1193م	التصوف	جبل لبنان الشام		الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 269.
البوني أحمد علي ابو العباس (ت 622- 1225م)	التصوف	القاهرة	اسرار الحروف والكلمات إظهار الرموز وإبداء الكنون موضع الطريق وقسطاس التحقيق من مشكاة اسماء الله الحسنى والتقرب بها إلى المقام الأسنى بحر الوقوف في علم الاوقاف والحروف تحفة الاحباب ومنية الكلمات الموضوعة في الرقوم.	الطاهر البونابي: المرجع السابق، ص 271. عمار هلال : المرجع السابق، ص 169.
عمر ابن محسن الصواف (ت 690هـ- 1291م)	التصوف	القاهرة		الحنفاوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، ص 121.
محمد ابن ابراهيم ابن عبد الرحمان الخزرجي	التدريس	الإسكندرية	شرح كتاب التفريع الجلاب لأبي قاسم عبد الله ابن جلاب	عادل نويهض: المرجع السابق، ص 69.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) ابن بشكوال أبي قاسم (ت 578هـ): كتاب الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر، 2008م ج1.
2) ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار): تحقيق وتحليل ودراسة، حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، 23م.
3) ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت614هـ): رحلة ابن جبير، بيروت، لبنان، دت.
4) ابن خلدون عبد الرحمان: (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبر، ضبط المتن والفهارس خليل شهادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2000م،ج6.

--------- المقدمة: ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001م، ج1

5) ابن زيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي (617هـ): التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس، السيتي، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، دار البيضاء، 1997م
6) ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ج1.

7) أبي بكر أبي زكرياء يحي: كتاب السير الأئمة وأخبارهم، حققه، اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1982م.

8) أبي جعفر أحمد ابراهيم الفرناطي (ت708ه): كتاب صلة الصلة تحقيق شريف أبو العلا العدوى، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر، 2008، ج1.

9) البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت 487ه): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق حماده الله ولد سالم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.

10)بن العماد أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت 1089م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1979م، ج4 .

11)البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1971م.

12)التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 718ه): رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.

13)التميمي أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمان الفاسي (ت603ه): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، دراسة محمد الشريف، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بتطوان، الرباط، 2002م.

14)التنبكتي أحمد بابا (ت 1036ه): نيل الابتهاج بتطوير الديباج، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط2، طرابلس، 1989م، ج1-2.

15)الحفناوي أبو القاسم محمد (ت1356ه) المصادر: تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بييسر فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م

16)الحموي ياقوت (ت626ه): معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1977، ج1،5.

17)الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه احسان عباس، ط2، مكتبة بيروت، لبنان، 1984م.

18)الدرجيني أبو العباس أحمد ابن سعيد (ت 670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، حققه ابراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر1974م، ج1.

19)الزركلي خير الدين : الإعلام قاموس التراجم، ط15، دار العلم الملايين للنشر، بيروت، لبنان، 2002م، ج5.

20)العبدري محمد البلنسي (ت720هـ): الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، ط1، بونة، الجزائر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007م.

21)العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت 1090هـ) رحلة العياشي حققها وقدم لها، سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، ط1، دار السويد للنشر، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2006م.

22)الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في مائتي السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م.

23)القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي (ت 891هـ): رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس، 1978م.

24)كربخال لمارمول: افريقيا، ترجمة عن فرنسية عماد حجي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984م.

25)المراكشي عبد الواحد (ت647هـ): المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان، القاهرة، 1962م، ج3.

26)المقري أبي عبد الله محمد (ت 759هـ): الحقائق والدقائق، اعتنى به عمر وسيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

27)المقريزي أحمد (ت845هـ): المقفر الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ج5.

28)المهدي محمد ابن تومرت (ت524): أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م.

29)مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمطار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، مشروع النشر مشترك، الكويت، 1985م.

30)نبي بن مالك: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984م.

31)الوزان حسن محمد الفاسي المعروف بالأسد الافريقي (ت947هـ) : وصف افريقيا، ترجمة عن فرنسية، محمد حجي ومحمد الخضر، ط2 دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1983م.

المراجع العربية:

1) أبو الحمام عزام: الاعلام الثقافي جدليات وتحديات، ط1، دار النشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2010م

2) أبو النصر محمد عبد العظيم: الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991م.

3) أحمد أحمد عبد الرزاق: الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية،ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م.

4) أحمد السيد عزمي طه: نظرة جديدة للثقافة ومدخل الى علم الثقافة الاسلامي، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، 2015م

5) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، السعودية، د، ت.

6) أحمد علي: الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، ط1، دار طلاس للنشر، دمشق سوريا، 1989م.

7) أفرساخ محمد، ونادية صلاح محمد صديق: رحلات المغاربة الى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، دبي، الامارات المتحدة العربية، دت.

8) أمين أحمد: ظهر الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013م

9) الأنصاري محمد جابر: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992م.

10)باجو مصطفى بن صالح: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ط2 ، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2007م.

11)بن قربة صالح وآخرون: تاريخ الجزائر، في العهد الوسيط من خلال المصادر، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م.

12)بنعبد الله عبد العزيز: الرحلات من المغرب واليه عبر التاريخ، ط1، دار المعرفة للنشر، الرباط، المغرب، 2001م.

13)بوتشيش ابراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م

14)بوعزيز يحي: تلمسان عاصمة المغرب الأومسط، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م

15)بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين (6هـ-7هـ/ 12م-13م) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة، 2000م.

16)بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

17)بيومي محمد علي فهيم: المغاربة في المدينة المنورة، ابان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي، ط1، دار القاهرة، القاهرة، 2006م.

18)التل عمر سليم عبد القادر: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ط1، دار المأمون للنشر، عمان، الأردن، 2009م.

19)التلسي بشير رمضان والذويب جمال الدين هاشم: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط2، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.

20)التلسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرنين الرابع الهجري والعاشر الميلادي، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2003م.

21)التليدي عبد الله ابن عبد القادر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2003م.

22)الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ المدن الثلاثة، ط1، شركة دار الأمة للنشر، الجزائر، 2007م

23)الحجي حياة ناصر: صور من الحضارة العربية في سلطنة المماليك، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1995م.

24)حدادي أحمد: رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد ابن عمر، ط1، منشورات الآفاق والشؤون الاسلامي، المغرب، 2003م، ج1.

25)حسن حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط14، دار الجيل بيروت باشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، 1996م. ج4.

26)حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخزناجي، مصر، 1980م

27)حمزة عبد اللطيف: الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي تقديم جيلالي حمزة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2016م.

28)خلف الله ابتسام مرعى: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي، 564هـ،936هـ/1130م-1569م، دار المعارف، مصر 1985م.

29)خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، دار المؤلفات للنشر والتوزيع، حمام الضلعة، المسيلة، الجزائر، 2016م.

30)الراوي طه: بغداد مدينة السلام،دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م

31)الرقب شفيق محمد عبد الرحمان: دراسات اجتماعية في الأدب الأيوبي والمملزكي، ط1، داريافا العلمية للنشر والتوزيع، 2009م

32)زيادة نقولا: دمشق في عصر المماليك، نشر باشتراك مع فرانك للطباعة والنشر، بيروت، نيورك، 1966م.

33)سليمان نصر وسطحي أسماء: منهجية اعداد البحث العلمي في العلوم الانسانية والاسلامية، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م

34)السمان محمد علي: التوجيه في تدريس اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1983م

35)السيد محمد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين،د، ط، دار الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007م.

36)شبار وعصام: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1999م

37)الشكير محمد: مجزوءة الطبيعة والثقافة، د، ط، افريقيا الشرق،2000م، ج2.

38)شهبي عبد العزيز: تاريخ المغرب الاسلامي " مختصرات لطلاب الجامعة، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

39)الصلابي علي محمد محمد: قيام الدولة الأيوبية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2008م

40)صني سعيد اسماعيل: قواعد أساسية في البحث العلمي، ط2، شبكة الألوكة للنشر، المدينة المنورة، السعودية ، 2010م

41)طمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، د، ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

42)طه عبد الواحد ذانون: أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري، ط1 دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2014م.

43)العابدي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة، الاسكندرية، د، ت .

-------في تاريخ الأيوبيين والمماليك: دط، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995.

44)عارف نصر محمد: الحضارة الثقافة المدينة، دراسة لسيرة المصطلح دلالة المفهوم، ط،2، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان، الأردن، 1994م.

45)عاشور سعيد عبد الفتاح: العصر المملوكي في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م

46)عبد الحميد حسين ورشوان أحمد: العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع، د، ط، دار الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2006م

47)عبد الرزاق عطلاوي: الرحلات العلمية وأثرها في حركة الاصلاحية الجزائرية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 1954م.

48)العبيكان طرفة عبد العزيز: الحياة الاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 1996م.

49)العربي اسماعيل: المدن المغربية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

50)عطية محسن علي: المناهج الحديثة وطرائف التدريس، د، ط، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م.

51)عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الوفاء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م

52)عيسى بن ذيب وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، 2007م

53)غنيم اسمنت: الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، دط، جامعة الاسكندرية، 1990م

54)في تاريخ الأيوبين والمماليك،دط، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت 1995 .

55)الفيلالي عبد العزيز: تلمسان في عهد الزياني، ط1، مرقم للنشر والتوزيع الجزائر، 2002م، ج1.

56)قندوز منير وعزوز عبد الناصر: تاريخ النصوص في بلاد المغرب الاسلامي والجزائر، ضمن كتاب جماعي، حول التصوف بين الماضي والحاضر، اشراف جاب الله طبيب، تصميم واخراج بركات عبد الحق، النواصري للطباعة والنشر، الجزائر، 2018م

57)القنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، 2002م.

58)كاشف سيدة اسماعيل: مصر في فجر الاسلام، د، ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م.

59)كردي ابراهيم: أدب الرحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م

60)الكساسبة رضا عبد الغني: النثر الفني في عصر الموحدين واتباطهم بواقعهم الحضاري، د، ط، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004م

61)الكيلاني جمال الدين فالح: الرحلات والرحالة في تاريخ الاسلامي، دار الزنبقة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م

62)لبيب بونان ومزين محمد: تاريخ العلاقات المغربية المصرية، دط، دار البيضاء للنشر، المغرب، 1982م.

63)لقبال موسى: المغرب الاسلامي، ط2، شركة قسنطينة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م

64)المنوني محمد: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر المغرب، 1989م.

65)موسى عز الدين: الموحدون في غرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، د، ط، دار الغرب الاسلامي، 1975م.

66)مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، 2004م.

67)الميلي مبارك محمد: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، د، ط، دار الغرب الاسلامي، لبنان، دت، ج1.

68)النجار عبد المجيد: المهدي ابن تومرت، ط1، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، مصر 1983م.

69)نواب عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الفهد الوطنية للنشر، الرياض، 1996م.

70)النوري حمو محمد عيسى: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، بحوث أولية، دت، ج1.

71)يوسف جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

المعاجم والموسوعات :

1) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ): لسان العرب: اعتنى بتصحيحها، أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار الصادر، بيروت، لبنان، 2004م، ج6.

2) بك زكي أحمد: قاموس الجغرافيا القديمة، ط1، مصر المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، 1899م.

3) بن زكرياء أبو الحسن أحمد بن فارس (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الاعلام الاسلامي للنشر والتوزيع، طهران، 1404، ج1.

4) التهاوني محمد علي: موسوعة كشاف المصطلحات الفنون والعلوم مراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، 1996م، ج2.

5) حسين قصي: موسوعة الحضارة العربية؟، العصر الفطمي والأيوبي ط1، دار الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م، ج6.

6) دغيم سميح: موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الاسلامي، ط1، لبنان للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م

7) زقزوق محمد أحمد: موسوعة الاسلامية العامة، وزارة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، مصر، 2003م.

8) قنبس عبد الحليم: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م.

9) لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب، خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001م،ج1.

10)نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر ، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م

الدوريات والمجلات:

1) الأطروشي شوكت عارف محمد وحسن درويش يوسف: " مساهمة المغاربة والأندلس في الحركة العلمية ببلاد الشام على عهد الأيوبي 567هـ-648هـ/1171م-1250م" مجلة آفاق الفكرية، العدد الثالث، أكتوبر، 2015م.

2) خلفات مفتاح: " اسهامات القلعيين في الحياة الثقافية ببجاية" دورية علمية الأداب واللغات، العدد الثالث، جامعة المسيلة، الجزائر،2013م.

3) الزاوي أبو زكريا :" اسهامات المغرب الأوسط في علم الأصول الفقه ما بين القرنين (4هـ-9هـ/10م-15م) ، مجلة متون الاجماعية، العدد الثالث 2016م، ج8.

4) الزهو سامي أحمد: " الثقافة التثاقف في العنف واللاعنف في تاريخ الاسلامي "، مجلة جامعة تكريت، المجلد 20، العدد 6، جامعة تكويت، 2013م.

5) شقرون الجيلاني: تلمسان مركز اشعاع حضاري في المغرب الأوسط"، مجلة الفقه والقانون، جامعة الجيلاني اليابس، الجزائر،دت.

6) شهاب علي منصور: الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 22، مجلس النشر العلمي جامعة كويت، 2001م.

7) عبد الصمد توفيق:" جوانب من اسهامات القلعة في الثقافة الاسلامية" مجلة حوليات الآداب واللغات، العدد الثالث، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013م.

8) عيفة الحاج: " الهجرة المغاربية الى بلاد الشام ما بين القرنين السادس والسابع الهجريين"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة الجزائر أبو قاسم سعد الله، الجزائر، 2015م.

9) لامعة زكي "الرحلة العلمية" مجلة كمال التاريخي، العدد 22، دار الناشري للأرشيف العالمي، 2013م

10)محمد عياش: " مدينة أشير" المجلة المغاربية للمخطةطات، العدد 1، جامعة الجزائر مخبر المخطوطات، الجزائر،2011م.

11)محمدي محمد: " المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي" مجلة الحوليات التراث، العدد 13، جامعة مستغانم، الجزائر، 2013م.

12)محمود خالد حسين: معطيات عن العلوم الشرعية بمدينة غزة منذ بداية العصر الطولوني إلى نهاية العصر الأيوبي (224هـ-658هـ/878م-1260م" مجلة العصور الجديدة، العدد 14-15، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2014م.

13)يعقوب محمد الباقر الحاج:" التصور الاسلامي وأثره في ادارة المعرفة "، مجلة الاسلام في آسيا الصغرى، العدد 4، الجامعة الاسلامية بماليزيا، ماليزيا، ديسمبر 2011م.

الملتقيات:

1) شقرون عبد السلام بن مختار: المناظرات والانشاءات في الرحلات المغاربية الحجازية، بحث مقدم، ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الاسلامية جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، 1466هـ.

الرسائل الجامعية:

1) عامر فتحي محمد الشيخ أحمد: فن الخطابة في العصرين الأيوبي والاممليوكي الأول، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير، منشورة جامعة شرق الوسط، 2015م.

2) الأعرج عبد الرحمان: علاقات دول المغرب الاسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (7-9هـ/13-15م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2013م.

3) بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2008م

4) بوسماحة فتيحة، تركي مريم: المغرب الأوسط على مسالك التجارة في العصر الاسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورة، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2015م.

5) الحازمي ناصر محمد علي: الحياة العلمية في دمشق في عصر الأيوبي (569هـ-659هـ/1173م-1260م)، رسالة لنيل درجة الماجستير، منشورة، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ.

6) حنان فتيحة: تعليم الصور البلاغية للسنة الثانية من المرحلة الثانوية مكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، منشوره، جامعة محمد خيضر بسكرة،2016م

7) شينة نصيرة : الشعر الصوفي المغربي أبو مدين الغوث وعفيف الدين التلمساني نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، منشورة، جامعة باتنة الجزائر، 2018م.

8) غربي بغداد: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، منشورة، جامعة وهران، 2015م

9) كريمة حمدي: أدب الرحلة ودوره في التوصل بين الحضارات، مذكرة لنيل شهادة الماستر، منشورة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم 2016م.

فهرس الموضوعات

الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–ط
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة.	
تمهيد	11
1–المغرب الأوسط	11
2–الرحلة	13
3–العلم	15
4–التعليم	16
5–الثقافة	20
الفصل الثاني : دوافع الرحلة العلمية	
تمهيد	26
1–دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية في المغرب الأوسط في العهد الموحدي	26
2–إزدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط.	28
3– دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية في المشرق.	40
4– إزدهار الحياة العلمية في حواضر المشرق	43
5–دور المراكز العلمية في حواضر المشرق.	45
6– دور آداء فريضة الحج.	53
7– التواصل التجاري.	54
8–طرق المواصلات.	57
9– صعاب الطريق .	60
10–محطات الرحلة العلمية.	62

الفصل الثالث: أثر علماء المغرب الأوسط مشرقاً ومغرباً	
تمهيد	72
1- مشرقا	73
1-1التدريس	73
1-2- الخطابة	76
1-3- القضاء.	78
1-4- التصوف	79
1-5-التأليف	80
2- مغرباً	83
2-1-التدريس.	83
2-2- الفقه	85
2-3- التصوف.	87
2-4- التأليف	91
2-5- العقيدة التومرتية	93
خاتمة	96
الملاحق	100
قائمة المصادر والمراجع	107
فهرس الموضوعات	122

تم بحمد الله